سعيد عقل
شعره والنثر

المجلد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التبادعية

نوبليس

سعيد عقل
شعرُه والنثر

المجلّد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التباديّة

نوبِليسْ

للمؤلف

بنت يفتاح	الطبعة الأولى ١٩٣٥ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مصححة)
المجدلية	الطبعة الأولى ١٩٣٧ ـ الطبعة الثالثة ١٩٩١
قدموس	الطبعة الأولى ١٩٤٤ ـ الطبعة الرابعة ١٩٩١
رندلى	الطبعة الأولى ١٩٥٠ ـ الطبعة الخامسة ١٩٩١
غد النخبة	الطبعة الأولى ١٩٥٤ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مصححة)
أجمل منك لا	الطبعة الأولى ١٩٦٠ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مصححة ومزيد عليها)
لبنان ان حكى	الطبعة الأولى ١٩٦٠ ـ الطبعة السادسة ١٩٩١
كأس لخمر	الطبعة الأولى ١٩٦١ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١
اجراس الياسمين	الطبعة الأولى ١٩٧١ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١
كتاب الورد	الطبعة الأولى ١٩٧٢ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١
قصائد من دفترها	الطبعة الأولى ١٩٧٣ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١
دلزى	الطبعة الأولى ١٩٧٣ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١
كما الأعمدة	الطبعة الأولى ١٩٧٤ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مزيد عليها)
الوثيقة التبادعية	الطبعة الأولى ١٩٧٦ ـ الطبعة الثانية ١٩٩١
خماسيات الصبا	الطبعة الأولى ١٩٩١

المجلّد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التبادعيّة

كما الأعمدة

الطبعـة الاولى ١٩٧٤

الطبعـة الثانيـة ١٩٩١

لي صَخرةٌ

مِن أين، يا ذا الذي آستسمَتْه أغصانُ،
من أيـن أنتَ، فَداكَ السَّرْوُ والبــانُ؟

إن كنتَ من غيرِ أهلي لا تَمُرَّ بنا،
أوْ لا فما ضاقَ بابنِ الجارِ جِيرانُ !

* « لي صخرة »، « سائليني »، « غنيت مكة »، « نسمت »، « شام يا ذا سيف »، « مُرَّ بي » كلها قصائد تُغنّي بها فيروز.

ومن أنا ؟ لا تَسَلْ. سمراءُ مَنْبِتُها
في ملتقى ما التقت شَمْسٌ وشُطآنُ.

لي صخرةٌ عُلِّقَتْ بالنَّجم أَسكُنُها
طارَتْ بها الكُتْبُ قالَتْ: تلكَ لُبنان !

تَوَزَّعَتْها هُمومُ المَجدِ فَهْيَ هوىً،
وَكْرُ العُقابين تَربى فيه عِقبانُ.

أَهلي، ويَغلون، يَغدو الموتُ لعبتَهم
إذا تَطلَّع صوبَ السَّفْح عُدوانُ،

من حَفنةٍ وشذا أَرزٍ كِفايتُهم،
زنودُهم إن تَقِلَّ الأَرْضُ أَوطانُ.

هل جنَّةُ الله إلا حيثُما هَنِئَت
عيناكَ ؟ كُلُّ اتِّساعٍ بعدُ بُهتان.

هُنا على شاطئٍ أَو فوقُ عند رُبىً
تفتَّح الفِكْرُ قلتَ: الفكـــرُ نَيسانُ !

دنيا الى نُقطةٍ شُدَّت ومـــا هَرَقَتْ
دَماً، أَلَا إِنَّ خُلْقَ الحُرِّ سُلطـــان !

*

كنّـــا ونَبْقـــى لأَنّا المُؤمنـــــون بهِ
وبعدُ، فَلْــيَسَعِ الأَبطـــالَ مَيْـــدان !

على شاطئ الذات

بعيداً، على شاطئ الذات،
في غَمْضَةِ الأشهُبِ،

حوالى مَطَلِّ الوُجود،
في العَبَق الطَّيِّب،

هنالك، والآنَ بين
المُمَهَّل والمُسْهَب،

شددْتُ يَدَ السِّرِّ وَهْوَ
على المَهد بعدُ غبي.

*

أَنا ابنُ الدهورِ، ابنُ لبنانَ،
وعيُ الخليقةِ بي،

أَنا جُبْتُ ذاتي وأَفرغتُ
أُغنِيَّةَ المَطلَبِ،

نَهِلْتُ الذُّهولَ، نهلتُ
شحوبَ الفتى المُتعَبِ،

وصمتَ المساءِ يَلُفُّ
اليتيمَ وقَبْرَ الأَبِ،

نَهَلتُ الشَّقاءَ المُهِلَّ
جميلاً كوجهِ نَبي.

أنا ثَرْوَةٌ كالكآبة
عُمقاً وكالغَيْهَبِ،

غنيٌّ أُحِسُّ الوُجودَ
غُباراً على ملعبي.

يقولون: قافلةٌ،
هنالِكَ، لَمْ تُغْلَبِ،

تَشِيدُ على الفَتْحِ أَثبَتَ
من مَجدِكَ الخُلَّبِ،

لها صفحةُ الأَرْض مرمىً،
وناصيةُ الكوكب.

قُلِ :الفتحُ غمسُكَ في الذات
كَفّاً من الصُّلَّبِ،

ورشفُكَ نفسَكَ رشْفَ
العتيقِ من المَشْرَبِ،

كأنَّك حُلْمُكَ ضُمَّ
إليكَ... ولم يكذِب !...

أجمل الأعراس

ذكّرنَني، شجَراتِ، اللوز، بالأبيضْ،
بثوبِ إكليلها وهْيَ اليمامُ البضْ،

بها... تخطّرُ... تسترخي مدلّلةً
على ذراعِ فتىً كاللّيثِ إنْ ينقض.

سَيْفٌ وبحرٌ معاً حتى لتعبدُه،
تقولُ: طَرْفُ الردى إمّا التقاه غض.

مَلاكُــه هيَ، إن دسَّت أناملَهـــا
بين الورود استحى شوكٌ لها وارفض...

الله يا شجـراتِ اللَّــوز، غَرْنَ ولا
تَغَرْن... فالحُسْنُ أشْهى الحسنِ ما أمرض!

مِن الزمـانِ أراهــا اليــومَ راجعــةً
تمشي الـى بيتنا في طَرْحـةٍ أعـرض.

ودِدتُ لو أتلقّاهــا وأحبِسَهـــا
في القلبِ شقراءَ شُقْرٍ كالشعاعِ الغض،

أُغنيَّــةٌ هيَ في بالــي وأسمعُهــ
مهبَّ ريحٍ دنا أو ناسِمـاً أعـرض...

لا لا تخيَّلتُهــا إلا وزَنْــدُ أبــي
يلُفُّ منها عروساً خصرُهـا ينـهض...

فخر الدين الثاني

يا اندفاعَ الأمواجِ في شاطئِ البوسفور،
رِفْقاً بذكرياتِ الأميرِ !

ببقايا حُلْمٍ تفوَّفَ بالصُّبح،
وألوى، فالصبحُ مأتمُ نور،

فيه من وثبةِ الجريحِ الى الثأر،
وفيه من احتضارِ النسور !

*

هو فخرُ الدينِ، الفتى، يقرأُ الأيامَ
في قولِ خازنيٍّ وَقور،

فيرى الأَمسَ من مذابحَ حُمْرٍ
نافراتٍ على ممرِّ الدهور.

جَدُّه، قِبْلةُ الشموس، قتيلٌ،
وأبوهُ، دنيا أسىً، في حفيرِ،

والدُّروزُ الأُباةُ يُغْويهمُ السيفُ،
فيستقبلونه بالصُّدور،

وإذا وجهُ عين صوفرَ أشلاء،
وآفاقُها بلون الزفير،

ويغضُّ الأميرُ طَرْفاً، ويُخْفي،
خلف جفنيه، هَزَّةً للعصور.

*

بسَمَ الدهرُ للشريد، وأعلى
العرشَ، ظمآنَ، للأميرِ الصغير،

أرضُ لُبنانَ حَفْنَةٌ، إنما ملعبُ
عينيهِ بَعْدَ بُعْدِ الضمير،

عصرت قلبَهُ حدودٌ دوانٍ
فرآها على شَفا المعمور،

واستثارَ الأبطالَ يَستلهمون
المجدَ... دوري بهم، ذرى المجدِ، دوري!

سالَ فيهم شاطي طرابُلسٍ، وانشقَّ،
تِيهاً، عن أنجمٍ في مسير،

وتداعى عرشُ ابن سَيْفا الى التُّربِ،
وخلّى الصَّدى بِصُمِّ الصخور،

فاذا يُنصِتُ البنونَ الى الموجِ،
يُحسُّونها قناً في الهدير!

*

وتنادَوْا من الشّمالِ الى زحلةَ
يسترفدونها في الكُرور،

فيهبُّ الشجعانُ ضجَّ لهم سيفٌ
وغنّى رمحٌ سيبقى سميري...

دانَ مجدُ الفُريخِ، دانَ شَفا
الأُردنِّ، في وثبةٍ ونفخةِ صور.

عُصْبَةٌ بُسَّلٌ رَمَوْا بالمواضي
عند قبرِ المسيحِ، رمْيَ النُّذورِ،

قيل: حجٌّ ! وقيل: شوقُ سُيوفٍ
نزلَتْ في النُّهى نزولَ النُور.

*

كاد وجهُ الأَمير يَحجُبُ من مجدٍ
عريقٍ، على السُّهى منشور !

كاد لبنانُ يلتقي العاليَ البابَ
بزَنْدٍ سَمحِ الفُتولِ، قدير !

فتلوَّت أَستانةٌ روعةَ الواجف
هزَّتْهُ غَصَّةُ المقهور،

حلَمتْ بالشواظِ يُمْطِرُ لبنانَ،
وبالكرِّ بالعديدِ الوفير،

فإذا البَرُّ من غُبارٍ عُبابٍ،
وإذا البحرُ من دُخانٍ حَرور،

مِن عِدىً بُكَّرٍ العَتادِ، تكاد
الأرضُ ترنو إليهم بنفور.

لم يَرُعْهُ التقاؤُهم وعلى الكفِّ
فؤادٌ له حبيبُ الكرور،

راعه حُلمُه تُحطِّمُه الأقدارُ،
طفلاً في هدهداتِ السرير،

فامَّحى عن عَدِيِّهِ، يكظِمُ الغيظَ
اشتياقَ اليومِ الكبيرِ الكبير.

*

بينما الناس هُيَّمٌ بِعليّ
وَلَدِ السيف، حَدُّه المستطير،

كان في مقلَبِ النهارِ أميرٌ
مُجهَدُ الطرْفِ، مجهدُ التفكير،

يتلوّى على الخريطة، حُلماً
شائعاً في خطوطِها والسطورِ،

مُتْعَبٌ، يَفجُرُ الأَسى مِحْجَرَيه،
وتداويه بسمةُ المحرورِ،

تعتريه، شوقاً الى مجدِ لُبنانَ،
ارتعاشاتُ مطلبٍ مأسور

ويودُّ التقاءَةَ الأَرز بالوهم،
فيَجري به الى البوسفور،

واذا بالنهارِ يستبقُ الليل،
ويطفو في قلبه الموتور،

فتقول الخريطةُ ارتقصتْ زهواً،
وطارتْ من كفِّه في سرور !

حَملَته الى شواطئ ِ لُبنانَ،
أَواذِيٌّ من منىً وحُبور،

والتقاه البَلاطُ مولىً سيحمي
جبهةَ التُّركِ من عدوٍّ مُغير،

« شَفيتْ من طموحه » مقلتاهُ،
وتعرّى من الخيالِ الخطير،

لو رأَوْا في البَلاطِ نوراً لكبُّوا،
في خضمِّ البوسفور، بازَ القصور !

*

داسَ في أَرضه الأَميرُ، فراح
الجبلُ المَيْتُ في ثيابِ النشور،

وسرت رِعشةٌ بلُبنانَ هزَّت
من ذُرى أُرزه الى صخرِ صور:

أُمَّةٌ تستردُّ مجداً سليباً،
وأميرٌ يلهو مع المقدور.

يا حِجاراً خوافتَ اللونِ في لُبنانَ،
قُصِّي كتابَ عهدٍ نضير !

قَلعاً كنتِ، ضاحكاتٍ من النَّجم،
حساناً، ممرَّداتِ الخصور،

أَنت تَيرونُ ! أَنتِ عجلونُ ! أَنتِ
المَرْقَبُ السَّمحُ ماطراً بالسعير !

أَنا ما دُستُ مرَّةً حجراً منكِ،
ولم أَنتفضْ لذكرى الأَمير !

حَدِّثي ! حدِّثي ! ففي لونكِ الناحِل
أَطيافُ جيشِنا المنصور !

سالَتِ الأَرْضُ بالخيولِ معَ الأُردنِّ،
سالت مع الخيالِ النَّفورِ،

تزرعُ الرايَ خافقاتٍ، من العاصي
الى المْيتِ، ضاحكاتِ النُّشور،

ومن الأَبيضِ الكبيرِ الى تَدْمُرَ،
رقراقَةَ السنى والحُبور.

ضحكتْ، يومَ عنجرَ، الأَسَلُ السُّمْرُ،
وشكَّتْ قلبَ الضحى المستجير،

لَجبٌ طَيِّبُ العَتادِ التقته
باقَةٌ من شبابنا الممرور،

سايفته،لا قَطْعُها قَطْعُ جُبنٍ
رامحته،لا شكُّها شكُّ زور.

أَجفَل السهلُ للطِّعانِ، وأَغضى
وجهُ حَرْمونَ للدم المهدور،

ينثرُ السيفُ قِرنَهُ، فتخالُ
الأَنجمَ الحمرَ من حُسامٍ نثير،

وتخالُ الأَميرَ، في جَيشِهِ العابسِ،
يمشي على ابتسامِ الثغور،

ظلَّ هَزْجُ الفرسان يلعبُ بالليل
الى سفرةِ الصباحِ الطرير،

فاذا صبحُ مصطفى، قائدِ التُّركِ،
حزينُ السنى، حزينُ السُّفور،

ما رآه الأَميرُ إلا التقاه
بسخيٍّ في كفه، موزور،

ضربَةٌ منه سمحةٌ كبَّتِ الفارسَ
في قلبِ جيشه المدحور،

وأَطلَّتْ شمسُ الغَمامِ، فحيَّت
جُنْدَ لُبنانَ بالشعاعِ الغرير،

ما انتهى مصطفى فقال ابنُ مَعْنٍ:
« يُعْطِكَ الله، لستَ لي بأسير،

أَنتَ حرٌّ ! فطِرْ الى الشمسِ قلباً
واملأْ العينَ من سنى التحرير ! »

*

نكَّستْ هامَها الجبالُ، ودان
الشرقُ للمستقلِّ فيه، الجدير.

وجهُ فخرِ الدينِ انتفاضةُ قلبٍ
مستهامٍ الى الخيالِ، كبير،

قِدَّةٌ من جبالِ لُبنانَ، في الليل،
ومن ضحكةِ القنا في النحور،

يعتلي صهوةَ الجَوادِ عَبوساً،
فعلى الشرقِ رِعشةُ المخمور،

ويذوبُ الصهيلُ في سمعِ أَسْتانةَ،
نجوى جِداً ونجوى نفير،

أَيخلّي مرادٌ الرابعُ العرشَ
على وهدةِ الردى والشفير ؟

أَيخلّي أَميرَ لُبنانَ تَيّاهاً،
يشكُّ البندينِ في البوسفور ؟

حُلُمٌ في خيالِ لُبنانَ رحْبٌ،
رعرعَتْه فينيقيا في الصدور:

سُفُنٌ تمخرُ العُبابَ وتُبقي
الهِرقليَّاتِ، خلْفَها في قصور،

تقصدُ القُطْبَ، والشواهقَ في القطب
تؤاخي مناجماً في بكور،

وتدورُ اعتزازةً حول بِكْرِ الأرض،
تُغري النُّضارَ من أوفير،

تزرعُ المُدْنَ في الشطوطِ، تربِّي
قاهرَ المستحيل رمزَ القدير.

ويتيهُ السلطانُ في حُلْمِ لُبنانَ،
فيُلوي على جِسامِ الأمورِ.

*

حملةُ اليوم، لو تكونُ للُبنانَ،
لردَّته سيِّدَ المعمور!

مِن رجالٍ أَوْفَوْا على الهمِّ عَدًّا،
وسفينٍ أَربت على التَّقديرِ،

فاللَّهيبُ اللَّهيبُ يُمطرُ لُبنانَ،
ويرميه بالردى والدُّثور،

ويخلِّيه شعلةً من صخورٍ
بعد أَن كان شعلةً من زهور،

وحوالى الأَميرِ من كاظمٍ قَسْراً،
ومن حاسدٍ أَتيِّ الشرور،

أَعينٌ يخنقُ السنى لفتةً منها،
فتُغضي على مُرادٍ ضرير،

ما اطمأَنَّتْ للتُّركِ يولونها القوةَ،
إِلَّا تفجَّرت عن قبور،

العِدى في رجاله، والعِدى التُّركُ
بحورٌ إليه إثرَ بحور،

يلتقيهم لبنانُ بالعُصبةِ البُسَّلِ
تاقوا الى الطِّعانِ الأَخير،

فيموتون عن نفوسٍ كبارٍ،
وينامونَ ملءَ طرفٍ قرير.

قلعةٌ إثْرَ قلعةٍ تُسْلِمُ الأَبراجَ،
إلَّا تَيرونَ، أُختَ النسور،

معقِلُ الحُلْمِ كم أبت أن تَداعى،
هُزُؤاً بالزمان والمقدور،

ما رماها الأَميرُ بالدمع، لولا
السُّمُّ في مائها الزلالِ النمير،

ورعته بطرفها ورعاها
في وداعٍ أدمى غناءَ الطيور،

ومضى، سيفُهُ كسيرٌ بأستانةَ
مُخضوْضِبٌ بحلْمٍ كبير !

*

يا اندفاعَ الأمواجِ في شاطئِ البوسفور،
رِفقاً بذكرياتِ الأمير !

الرُّنَيْهَة

عالَمٌ طيّ نَغَمْ،
يتحدَّاه العدمْ،

ضَمَّةُ القَبْلِ إلى البَعْدِ
بعُمْرٍ شَقَّتُهما

دقَّ كالبرقة، شكَّت
خيمةً فوق الأمم،

لا وثوبٌ في ظنونٍ
لم يُفجِّرْهُ هِمم،

أو بِناءٌ من خيالٍ
لم يُرغرِغهُ شَمَمْ،

يُخصِبُ الفِكرةَ يستنطقُها
السِرُّ الأَصمْ،

ويعرّي بيديه
الشمسَ في قلبِ القَتَم.

*

وإذا نحنُ، الى الله،
شِراعٌ في خِضَمْ!

تكسّرت الأسيافُ

تصبّاكَ شِعري، قلتَهُ قِمَمَ المجدِ،
سلامٌ عليه السَّيفُ أُعجِبَ بالغِمْدِ !

وقلتَ به ما صيَّر الآهَ وردةً
وأُنتَ جِراحُ الآهِ، يا نسمةَ الوردِ !

* في يوم امين تقي الدين.

حَبَبْتُكَ، ما حُبّي الشهامةَ ؟ ما الغِوى
بأهلي وبالقِمّاتِ من جَبَلي الفَرْدِ ؟

أنا، بعدَ ما طَلَّمْتَنِيه، تطلَّعَتْ
جهاتي إلى نفسي ونفسي إلى الزُّهدِ.

هُناك التقينا وافترقنا،... جراحُنا
لتبنيَ، لكنْ أنتَ تسكرُ بالوعدِ،

وأقسو أنا أقسو، أُريدهُمُ لها،
فإن جَبُنوا طُلْتُ الجناحين لي وحدي.

*

كأنّي مهبُّ الرّيح، والصَّعبُ منزلي،
وشُغْلِيَ حَطُّ الحُسْنِ في الحَجَرِ الصَّلْدِ.

كأنّي غموضُ الليل، لم يَبْقَ عازفٌ
لِجنّيَّةٍ إلّا ورقّصها عندي..

أَقولُ: الحياةُ العزمُ، حتَّى إذا أنا
انتهيتُ تولَّى القبرُ عزميَ من بعدي

وأَقرأتني يوماً كما لو من الصَّدى،
ومن كاعبٍ في الشِّعر عاليةِ النهدِ،

لَتفدى الحياةُ استُجمِعَت في قصيدةٍ
وغَنَّت وردَّت... فانتشى الأُفقُ من ردِّ...

تقول بها: « خَبَّأْتُ يا ليلُ فيكَ... » ولْيُكَمِّلْ
ويَفْنَ الليلُ في النَّغَمِ الرَّغْدِ!..

تعاظَمَني ما ظَلَّ منها وما انتهى
ويُعدي، وعينيكَ، البهاءُ به، يُعدي...

وصِرنا هيَ الدِّفلى... وصِرنا أنا الندى
ونُنقَشُ من ديوانِ شِعْرٍ على الجِلْدِ

ذَرُوني... سأطوي قصَّتي مع قصيدةٍ
الى أن يطيبَ العُودُ في نَقرةِ الكُرْدِ.

*

ويا أيُّها الدِّيوانُ ضَمَّ شمائلاً
كما ضمَّ موجوعَ العَرارِ ثرى نَجْد،

تَنزَّلْ تُخَلِّ الشِّعرَ أَشْعَرَ، والهوى
أرقَّ، وذاكَ المنحنى جنَّةَ الخلد !

لِحِبْرِ هَمى كالضوءِ عن جَرِّ ريشةٍ،
تطلعَّتِ الأقلامُ تَنهلُ مِن نَدّ...

هُو السَّفْحُ يُستهوى، على أنه الذُّرى
إذا قُصِدَتْ خلَّت لُهاثاً على القَصْد،

كذا طُرُقُ الأبطالِ في القولِ والوغى
وما سَهُلَتْ الَّا جبانةُ مُرتَدّ.

إذا نَقْطُ حرفٍ شاءَهُ رَبُّ مِرْقَمٍ
أنيقاً، فقلْ عينٌ تَعذَّبُ من سُهْد.

تعالتْ يَداهُ شاعِرٌ، كلُّ نَسْمَةٍ
تُلِمُّ بما أَخفاه، تَشقى بما تُبدي،

وَلُوعٌ بأَنغام السُّكوتِ يَصبُّها
لِمِلَّة رَفْضٍ، يُسْكِرُ الضِدَّ بالضدِّ،

أَنا واحدٌ منهم، فلولا أَنينُه
لكانتْ لِقرطاسي جفاءَةُ مُعْتَدّ.

يقولون بي غالى ؟ أَنا بَعْضُ نُبْلِهِ
وأنظِمُ، عيني في قصائِدِهِ المُلْد...

سَليلُ الأُولى قيلوا السيوفَ[1]، رَنَتْ لهم
جِبالٌ وقال الحقُّ: مِن بعضِهِمْ جُندي.

---

1) الدروز.

على ريفِ لُبنانٍ نَمَوْا مثلما نما
الضياءُ، وسالَ الفَجْرُ في القِمَمِ الجُرْدِ.

وأنَّى مَضَوْا ظَلُّوا بلبنانَ قلبُهُمْ،
ويَصبو الى أرْضِ العَرينِ هَوى الأُسْدِ.

يُشرِّقُ شَطٌّ أو تُغرِّبُ مَوْجَةٌ
وهم عنفوانُ الصخرِ ليس الى شَدِّ.

أنا اليومَ منهم في قصيدةِ شاعرٍ
لَتسكُنُني كالريح تَلْفَحُ من بَرْدِ.

أعودُ اليها الآنَ، هل طابَ نَقْرُهُ
على العودِ، ذاكَ الغارسُ القُرْبَ في البُعدِ ؟

وذاتِ دَلالٍ كلَّ صُبْحٍ تَزورُني
فأقرأُها مِن أُخْمَصَيْها الى العِقدِ،

الى جَبْهَةٍ باقٍ على الشمس ظِلُّها،
إليها جميعاً إذ تَعَرَّى مِن البُرْدِ:

هنا مِثْلُ قَوْسٍ ضاربٌ فوقَ هُدْبِها،
هنالك صُبْحٌ صيغَ مِن سَكْبَةِ الزَّنْدِ،

وتَعذُبُ... لكنْ ليس تَسْهُلُ، صعبةٌ،
فتُعطي ولا تُعطي،مُلعَّبَةَ الصَّدِّ

بِقَدٍّ تسامى زنبقيًّا فإنْ هوى
وأَوجعَ... قُلتَ اللحنُ ماتَ مع القَدِّ.

وتَقْلَقُ دوماً ليس تهدَأُ، فهْيَ لي
ولِلوجد أَو للمجد، أَشهى من الوجد !

وزِيدَ عليها مِثْلُ لا شيءَ، مِثْلُها...
كما لَفْحَةٌ تَشْيُ الإله على الخَدِّ.

ويَزْلَقُ بي طرفي... أَشَلَّالُ لُؤلُؤٍ
سنى الجِسْمِ مَذْرِيًّا على الشَّعَر الجَعْد ؟

أَبيضاءُ أَم صَهْباءُ ؟... دَعْكَ وضُمَّها...
كأَنْ قد أَضلَّتكَ الغِلالَةُ عن رُشْدِ...

تَمتَّعْ... صِبا حسناءَ ذاكَ أَم آنه
قصيدةُ مَن إن راح يَنْظِمُ لا يُردي ؟

به أَو ببعضٍ من سُلالةِ شِعرِهِ
زهونا زُهُوَّ البرْقِ أَو قصفةِ الرعدِ...

وربَّ كلامٍ رُخْتَ تَنسى رنينَه
ومِدْرارُهُ ما زاد عن حَبَّةِ الرَّند،

تكسَّرتِ الأَسيافُ دونَ جَلالِهِ
وقالت بلادٌ: حُجَّهُ، إنه مجدي !

مِن وَردتين اثنتين الشمسُ ...

سيفٌ على البُطْل أم شيماتُكَ الحُرُمُ ؟
ــ يا شِعرُ خَلِّدْ ــ وسيفٌ ذلكَ القَلَمُ!

فكيفَ مَرُّكَ بالجُلّى ؟ سألْــتُكَ قُلْ
ما هابَكَ الموتُ ؟ ما انزاحَت لك الظُّلَم ؟

* في ذكرى شبلي الملاط.

ماضيكَ، غزَّارَةٌ كالصحـــو، مُلْتَـــفَتٌ
كأنَّما الصَّقْرُ في تَحديقِـــهِ نَهَـــمُ،

صَدَّقْتُهُمْ كُلَّ هذي صَوَحَتْهُ طَوِيَتْ،
صَدَّقْتُهُم فَتَّ في عَزْمِ الشَّبا الهَرَم،

صَدَّقْتُهُـــم عَلِمـــوا بالعَبقـــريِّ مضى،
لكنهـم بِشمـوخ الـرأْسِ ما عَلِمـــوا.

*

بالأمس ديـوانُكَ استنجَدتُــهُ عَبِقـــاً
منـــه الخَـــزامُ، عَلِيَّـــاتٍ به القِيَـــمُ،

فَخِلْتُني فَلَكيـــاً، مِثْـــلُ البـــراعَةِ لي،
حَولـي يَدورُ السُّهـى يَجثـو ويَسْتَلِـمُ،

أبابـلٌ، قلتُ، زارَتْني وقـد حَمَـــلَتْ
إلـــيَّ أشيـــاءَ أم غنَّانِـــيَ الهَــرَمُ؟

ولِعْبتُ، أولَعْتُني، وَدَّتِ لو تكونُ أبا
روحُ الربيعِ، وودَّ الزَّهْرُ والأَكَمُ!

*

ما لي أغنيكَ: «أهلي النورُ مَنْبتُهم،
عالُونَ كالأَرْزِ، جارِ اللهِ، ما رُغِموا

ما نكَّسوا هامَةً إلَّا لخالِقِها
إلَّا لِلُبنانَ ما دانوا وما احتكموا،

في إثْرِهِمْ أنا، دُنيايَ الجمالُ، وإنْ
باعدتُ فالسفحُ من لُبنانَ والقِمَمُ،

إلَّا إليكَ، إلهي، ما مَلَلْتُ يدي
أجوعُ؟ من شَرَفي خُبْزٌ ومغتنَمُ

ويومَ مرَّ ببالٍ أن تكونَ لنا
يَراعةٌ بالهُدى والنُّبلِ تضطرِمُ،

على السنى وعلى شَكِّ القنا رَبِيَتْ
على الزئير ءأوانـاتِ الحِمَى أَجَـم،

ظَنَنْتُ شِعْرَكَ فخرَ الدين مُنتهِـراً:
« جنودَ عنجرَ، هذا يومُها الهِمَم ! »

يَسْخَى فيَسْخَوْن، قُلْتَ السيفُ في يده
يسخى وتلتـفِتُ القِيعـان والرُّجُـم،

حَرْمونُ في الأُفْقِ يَروي عَن بطولتهم،
صِنِّينُ يَغوى بِهم تِيهاً ويَنسجـم،

لله ما مادَ مِن بُرْجٍ، وزُلْـزِلَ عن
سَرْجٍ، ومَن قَضَموا رُمْحاً ومَن قَحَموا،

هُمُ الأُولى أَخـذوا عن راسياتِهِـمُ
أَنَّ القِـلاع وأَنَّ الراسيـاتِ هُمُ !

حَتَّى إذا قال: « كُفُّوا، قد عفوتُ أنا،
بِحسبيَ النَّصْرُ، ما لُبنانُ مُنْتقِم »،

تَلاحَظَتْ مِن أساها الخيلُ صاهِلَةً،
وفُتِّتَتْ كاظماتٍ غيظَها اللُّجُمُ،

لكنَّما عَبْسَةٌ من حاجبيه طَغَتْ،
فعادَتِ الخيلُ كالفُرسان تَبتسم !...

*

طَابَت قصائِدُ خِلْتُ الجيشَ مندفعاً
فيها، ومؤتلِقاً في أُفْقِهِ ٱلعَلَم !

شِعْرُ الرجولَة، شبلي، أنتَ نَبْعَتُهُ
بِكَ ارتوت أُمَّةٌ، مِنك انتَشَتْ أُمَمُ.

بَلى بَلى، لَكُما في الدَّهْر وَقْعُ خُطىً
على العُلى لُوِّنَتْ مِن شأوِها الدِّيَمُ.

أَلْفاظُكَ الدُّهْمُ حُمْرٌ حينَ تَرْصُفُها،
لا حُمْرُهُ أُسْرِجَتْ أبهى ولا الدُّهُمُ.

أأنتَ أم هُوَ مَن خَلَّى الجَمالَ على
مفارِقِ المَجدِ، مُفْتَنًّا بما يَسِمُ؟

خَلَطْتُ بينكُما حتَّى لأسأَلُهُ
أشاعِراً كان حِينَ الطَّعْنُ مُحتدِم؟

تَوَقَّع السَّيفُ يوم اختالَ في يَدِهِ
ما سَوفَ تأْخُذُه عن حِبْرِكَ الحُمَمُ.

أَنتَ المُرَوِّعُها الأفْكارَ تأسِرُها،
هو المُمَنِّعُها الهِمَّاتِ يَنْتَظِمُ.

هُنا امتشاقٌ لمعنىً رَنَّ بارِقُهُ،
هناكَ نَقْطٌ بِنَصْلٍ والحروفُ دمُ.

تُغري ويُغْري فَلَفْظٌ منكَ هَزٌّ قنـاً،
ومنه قَطْعٌ تَقولُ البيتُ يُخْتَتَم.

أرهفتُماها القَوافي حَدُّها لَهَبٌ،
أجريتُماها المَواضي سَيْلُها عَرِمٌ.

مَرَرْتُما فوقَ دُنيانا معاً ومعاً
لاعبتُما الموتَ حتَّى لَهْوَ مُنْهَزِم.

يا صِنوَه مَنبِتاً ذاك الذي نَحتوا
مِن اسمِه اسمَك، هَل أُنطَقْتُ مَن وجَموا ؟

تفي ولو أَنتَ خَلْفَ القبر، هاكَ أَنا،
في يومِ خُلْدِكَ، صوتي بَعْضُهُ الكرم.

مِن وردتينِ اثنتينِ الشَّمسُ أَرفعُها،
فالكونُ شَخْطَةُ حِبْرٍ والمَدى كَلِم!

في البال خلف الحرير الزهْرِ خاطرةٌ
تململــــت قُلْتَ حُسنٌ بالهـــوى بَرِمُ،

ـــ « حبيبيَ الحُلْوَ، نادت، والذِّراعُ على
جيدٍ، وُجُودٌ أَنا أَم وَهْمُ مَن وَهموا ؟

حَلَمْتَني ؟ أَكْمِلِ آلْخلُقْ، ليس أَجملُ من
إطلالـةٍ راكـــعٍ في بابهـــا العَـــدَم.

مِن بَعدِ ما أَلتقي نفسي يُخَيَّلُ لي
أَنـي أَنـــا قُبلـــةٌ حَرَّى وأَنتَ فَم ».

لا لم أُجِبْها، جمعتُ الدَّهرَ، مَن عشِقوا،
مَن أَسكَروا الكأْسَ، مَن قالوا ومَن أَثِموا.

سَقيتُها لا دمُ العنقـــود أَطـــيبُ لا،
ولا الخلـــودُ ولا ما فتَّـــقَ القِـــدَم،

وما بقرطاجَةَ استَهدَوْا وما اعتَزَمَتْ
بِبعلبكَّ الطِّوالُ السِّتَّةُ العُظُم.

رَويْتُها لي، لِبالي، لِلزهور، لَها،
كما رويتَ لِعودٍ أَنَّهُ نَغَم !

فَقَرَّبَتْ شَفَةً وَلْهى إلى شَفَةٍ،
وهَبَّ يَعْطِفُ قَدَّ الزنبقِ النَّسَمُ.

أَوَّاهِ مِن كَرمةٍ لَم يَصْحُ قاطفُها
إلاَّ ليشهَدَ هذا الكونَ يَنعدم !

ومَن رَقَى الموتَ ؟ مَن قالَت أَصابعُهُ
سأَسْحَرَ السِّحْرَ حتّى تُبْعَثَ الرِّمَم ؟

أمانَ عَينيكَ، بيتَ الشعر، أَنت لها،
يا أَنْجُمُ ارْقُصْنَ لي، غَنِّينَ يا سُدُم !

الشِّعر قَبْضٌ على الدُّنيا مُشعشِعَــةً
كما وراءَ قميصٍ شَعْشَعَتْ نُجُــم،

فَأَنْتَ والكَــونُ تَيَّاهــان: كَأْسُ طِلاً
دُقَّتْ بكأسٍ وحُلْمٌ لَمَّــهُ حُلُــمُ.

*

عالٍ كما أنتَ شبلي، ما رَشَقْتُ به
بابَ السماءِ وما بالغَيب يَصطــدِمُ،

أتي على المُغلَقِ المَرصودِ فانفَتحت
كَفٌّ من الله ما الأزهارُ ؟ ما الحِكَمُ ؟

شِعــرٌ إلــيَّ يَشُدُّ المنتهــى جَزِعــاً
قَلْباً، ومِنهُ بقــلب المُنتهــى أَلَــم.

سارَرْتُها الشمسَ، أيُّ الخَمْر يُسكِرُها
حتّى أُصُبَّ ؟ فقالت: « يُسْكِرُ الشَّمَم ! »

النهران

وُلـدتُ سريـري ضِفَّـةُ النهـر، فالنهـرُ
تآخى وعُمري مثلمـا الـوردُ والشَّهـرُ،

وكـان أبـي كالْمَـــوج يَهْـــدُرُ، مرَّةً
يُدحرج من صَخرٍ وآناً هو الصخرُ!

* في الاحتفال بنيل شولوخوف جائزة نوبل.

وقد علَّماني الحَقَّ، ما الحَقُّ؟ دُفْعَةٌ
كما السَّيلُ عنه انشَقَّ واخضوضَر القفر.

وعُمْرٌ شَرارٌ ليس يأسُنُ ينتخي
على الصعْب، فهو الشَّرْدُ والبردُ والحرّ،

وأنك خَطٌّ كالشهامة واقِفٌ
إذا انهار ظَهرُ الناسِ أنتَ لهم ظَهر.

وما قَلَمٌ بالكَفِّ إن لم تَهِم به
مواضٍ وتَحْسُدْهُ الرُّدينيَّةُ السُّمْر!

تَوحَّد مَنْ مِن حَزِّهِ طاب حِبْرُهُ،
ومَن بتلقي طَعْنِه افْتُتِنَ الصَّدر،

أنا عنهما ذَيَّنِكَ الشائِلينِ بي
أخذتُ ولم أسكَرْ، وبي تَسكرُ الخمر!...

كأنّيَ بين الموج والمجدِ ساكنٌ،
وداريَ بنتُ الصُّبح ما شابَها عَصْرُ.

لَئِن تَحْكِ عن نَهْرٍ فشَطْرُ قصيدتي
يُطِلُّ، وهُزَّ السيف يكتمِلِ الشطر !...

*

تُحَبِّبُنيهِ « الدونَ » كُلُّ ترابةٍ
سَقاها سَقى أُختاً لها القَلَمُ النضْرُ ؟

كلامُكَ يُغرينـي، يُرنِّحُ خاطري،
يُذكِّرني بالأرض، أرضي اللّها ثَغْرُ،

تُقَبِّلُ حتّى لَهْي أُمٌّ... وطفلَةٌ
رِضىً... وعروسٌ فاحَ مِنْ رُدْنها العِطر!...

أُغنّي أنا لُبنانَ أجْمَلَ ما شَدا
كَنارِيُّ غُصن رَقَّ، لكنه نَسْر...

وأَنْتَ تُغنِّـــي رُقعـــةً من جبالهـــا
جبـالٌ، عليهـا مُتعَبـاً يَتَّكـي الدَّهـــر.

كِلانـا شَغـــوفٌ بالضِّفـــاف وأَهلِهـــا
يُنَشِّئُهُـــم نَبْـــعٌ يُخَلِّقُهُـــم زهـــر،

كَنَبعهـمُ أَعطَـــوْا جديـــداً وطَيَّبـــوا،
كزهرِهِـمُ الدنيـا، وكالزهـرةِ افتـرُّوا...

تُغنِّي هدوءَ « الدون » ؟ عَفْوَكَ: أَهلُـهُ
إذا بَعثـروا فَجْـراً أَهَـلَّ لهـم فجـر !

جَلَلْتُكمـا عنهـا فلا « الـدونُ » هادئٌ
ولا أَنت، إلاَّ أَن يَلُفَّكمـــــــا السِّرُّ.

أُسائِـــلُ: « هل حارت بغير نُهاكُما
عقولٌ، وهل جاهى بمثِلكما الـعَصْرُ ؟

ونَهْرُ الرجـال المُنتهـي خَلْـف أنجـمٍ
وأنت تَخُـطُّ النهـرَ، أيُّكُمـا النَّهـر ؟ »

*

حَبيــتُكَ، يا غزَّارَةً ما تجاهَـــرَتْ،
ومَن قال: صوتُ الناي أجمَلُهُ الجَهْر ؟

تَميـلُ على القِرطـاس تأْمُرُهُ: آمتثـلْ
غَمامـاً، فيَسخـى ليسَ يَجْرحـه الأَمرُ،

إخـالُ الرِّقـاعَ الـخُضْرَ بِتْــنَ حبائبـاً
إليكَ... فها عُنْقٌ يضِجُّ وها خَصرٌ !...

وأنت حَواليهـــن كَفٌّ عطيَّـــةٌ
كما الله إنْ قَطْراً أرادَتْ هَمى القَطْر !

وإن أنتَ قصَّفتَ الـــغُصونَ تلألأتْ
غصونٌ عليهـــنَّ الطيـــورُ لهـــا كَرٌّ.

تُعاتِبُ أَنتَ الشَّيخَ والريح، باعـداً
عشيّاً، فتبكي الريحُ والشيخُ يصفرُّ !

أَلا أَين مِنْكَ الصاحبون ؟ هَزَزْتَهُم
بِقولٍ وبعضُ القول ناهِدَةٌ بِكر.

لِطَرفةِ جَفْنٍ مِن حَياها غَضيضةٍ
يَذِلُّ الذي في القَصْرِ أَو يَقَعُ القصر،

ولِلَّفْظةِ المكنونِ سِرُّ جمالِها
نَفاذٌ كهَدِّ المَوج جُنَّ به البحر.

*

تَقُصُّ ؟... ارتفق بالشِّعر، أَنت بدَعْتَهُ
كلامُكَ زَهْرُ الجَمْرِ لو يُزْهِرُ الجمر.

تَخُطُّ كما خَطَّ اللعوبون بالعُلى
على أَنمُلاتٍ منهُمُ اغترب الفِكر،

يَحُـــرُّونَ كونـــاً، يَنزِلـــونَ بآخـــرٍ
وكُلٌّ على كَفٍّ... فقلْ بعدُ ما السِّحْر!

*

إليكَ بنَفْـــحِ الأَرز جَمًّـــا بعشْـــهُ،
وعُلِّـــقَ عُودُ اللهِ في الأَرز. فالنَّقْـــرُ

وشيكٌ. كُنِ العـــوَّادَ واضرِبْ بريشةٍ
على مَوعدٍ مَعْ مثلِهـا العَمْرُ والغَمْـر.

وأنتَ من اللائـــي يُحِبُّـــونَ. إنهـــم
على أَرضِكَ المِعطاءِ، أَفديهِـم، كُثْـر.

ومِن عِندِنا المَجْدُ الذي المَجْدُ بعضُهُ
إليـه رنـا مَن أُلْهِـمَ السِّفْـرَ، والسُّفْـرُ،

فَلَـمْ يُعْطَـهُ من سار بالشِّعر لاهثـــاً
ولكنَّما مَن جـاءَ يَقصِـدُهُ الشِّعـر.

اللون الآخر

بِبالي مررتَ اليوم، فَلْيَشتعِلْ بالي،
كأنكَ قَصْفُ الرعد في الجبل العالي،

كأنكَ لونٌ في الطبيعةِ آخَرٌ،
أوِ اسْمٌ كطيرِ الرُّخِّ أو شجرِ الضّالِ.

---

* ليلة تذكر الرفاق عمر فاخوري.

لِخاطــــرةٍ أغريتَهـــــا وحَبَسْتَهـــــا
بلفـظٍ، بكـى غيـــرانَ لؤلـــؤُ لَآلِ.

إذا القـولُ ما شَدَّ الربيـــعَ، ولا شدا
على كلِّ حرفٍ منه عُصفورُه الغالي،

ولَـم يَسترخْ فيـه الزمـانُ، وتشتـــبكْ
نجومٌ بأزهارٍ، كما المِعصمُ الحالـي،

فلا كان !... إن القولَ ما آهَ من هوىً
وشعشعَ، قلتَ الأرضُ مُسَّتْ بزِلزالِ.

*

حَبستُكَ تُغنـي العَصر، تُطلِقُهُ علـــى
الرِّيـاحِ، تُمَنِّيــهِ بإكثــارِ إقـــلالِ،

تُلقِّنُــه كيـــفَ افتتـــانُ أصابــــعٍ
بمجدٍ، وكيف المَجدُ تَحطيمُ أغلالِ.

فلا صَغُرَتْ أَرضٌ، ولا قَلَّ شعبُها،
ولكنهـا الدنيـا لِجَـوَّابِ آمـال !

لِمَـنْ بَرِمَتْ منـه يدانِ رماهمـا
بأَن تغدُوَا في السكب دفقـةَ شلاَّل !

فلا شيءَ ممـا طاب شيئـاً ولعبـةً
تشيـل الرُّبى، إلاَّ تأَتَّـى لشيَّـالِ !

*

كفى أَن تُحِبَّ الحُسْنَ، مقلَعُكَ السَّنى،
تُقصِّبُ: بانـي الضوءِ بانٍ لِأَجيـال.

*

ومَنْ ماردُ البـاب الـذي قلتَـهُ ازدهـى
وطُيِّبَ مَرصوداً كما الماءُ في الآل ؟

يقولونَـه حُلمـاً يُخَـيِّبُ ؟ ويحهـم !
أَما واهمٌ بالحُبِّ أَشرَفُ مِن سالِ ؟

مُقـــامُك في أَرجائهـــم كان هَتْفَـــةً
بموتـى، وكـان المستجيـرَ بأَظـــلال:

تَخالُهُـمُ دنيـــاك، إِذْ هُمْ بَريقُهـــا...
وآلهـــةً، إِذْ همْ تماثيـــلُ صَلْصال...

*

سيَبقـى لك النَّسجُ الـذي أَنت ربُّـه،
ولِـلشمس نَسْجٌ كُلُّ ما دونَـهُ بالٍ.

غُبـارٌ على الثَّوب الـذي أَنتَ خالـعٌ
لَمِنْـــهُ عروشُ الأَرض تُشرى بمِثقـــال.

وإِن أَنتَ، يومَ الرَّصْد، ما كنتَ مارداً
وباباً، فمـا خَزْنٌ ومـا فَضٌّ أَقفـال؟

*

سلامٌ على الغزَّارةِ احمَـــرَّ وجهُهـــا
ولكـنْ كمـا الوردُ الوديـــعُ بإِدلال،

أقولُ: آنزِلي، يا بعلبكُّ، آنزِلي معي
آلزمانَ خططناهُ كما الوردُ في البال !

ومنّا الذي تاقَتْ الى وجهه العُلى،
ومنّا العُلى فليمّحِ الطلَلُ البالـــي.

*

مِن الغيبِ، فوقَ الغيبِ، وَقْعُ حوافرٍ
تطلَّعْ ! حِصانٌ راح يَغوى بخيَّال !!

نَهرُ الذَهَب

حلمتُ وكان الضُّحى لم يُفِقْ
بأَنَّ وسادَكِ زندي القِلق،

وفوقَ محيَّايَ، شَعْرُك نهرٌ
من الذهب المُندري المندفق،

أَهِي مرَّةً، ومراراً أُضيع
كما وردةٌ في العبير العَبِق.

هُويناكَ، يا حلمُ، هذا المساءَ،
ستقسو، وبعدَ غد، سترِق...

أنا مَرَّ أسبوعُ عمرٍ ولمّا
أمُرَّ بدارتها أسترق

إلى حُسنها، قُلْتَني بُلْبُلَ الأَيك
شرَّدَهُ عندليبٌ نزق،

تَجيءُ الفَراشاتُ مُحلولياتٍ
الى حِيف شُبَّاكيَ المنغلق،

فأَغمزهن: أَمِنْها ارتزقْتُنَّ ؟
بَشِّرْنَني أنني مُرتزق...

فراشاتُ، أيٌّ تَمُرُّ بِشَعْرٍ
وليست تَودُّ به تحترق ؟

أَنا ليتني كنتُ في السِّرب ! كنت
تأنَّيت عندَ البياض اليقق...

وما لامست أُنملي ذلكَ النحر،
كلّا ولا الناهِدَ المنطلق...

ولكنني كنت مُتُّ بعينين،
خَمْرُ السماءِ إذا يندلق...

كلامي على ربِّ الكلام

كلامي على ربِّ الكلام هَوىً صَعْبُ،
تهيَّبتُ! إلاَّ أنَّني السيفُ لم يَنبُ.

ورُبَّ جمـالٍ رُحتَ تَرسُمُ طيفَـه
تصبَّاكَ كالسيفِ استجاب له الضَّرب،

---

* في احتفال بعلبك بعاشوراء.

وما لُغةُ الأقلام من لُغة القنا ؟
اثنتان؟ سألتُ الحُسْنَ: ما الجَفْنُ؟ ما الهُدْبُ؟

لَيَطرَبُ لا إلاَّ لغزَّارةٍ جرت
كما الفَرَسُ الدَّهماءُ طَيِّبَها النهب،

إذا صَهلت غِبَّ التَّلاحُم ردَّها
أخو مِرَّةٍ في الدَّوِّ من وقْعِه رُعْب،

يَذود عن الذِّمَّات ليس يُبيحها،
بِه الشرْقُ مَدَّ الصوتَ فالتفت الغَرب.

*

حببتُ عليًّا مُذ حببتُ شمائلي،
لَهُ اللُّغتانِ: القولُ يَشمَخُ والعَضْب،

بِهذاك يُعليها، بهذا يَزيدُها
أيكبو؟ ولكنَّ الأصائلَ لا تكبو!

لَأشرفُ مَن قاسى، وأسمَحُ من سَخى،
تقول على رَملِ البوادي له حَذْب.

بَلاغتُه الليلاءُ أُسُّ أريكةٍ
فكيفَ بما أبلى الذي وثبُهُ الوثب؟

*

وهَل، يا تُرى، هل قادِرٌ خَنْجَرٌ على
حبيبِ فِرِنْدٍ؟ بَكِّني وابكِ، يا حُبّ!

تَخيَّلتُهم، أهلَ النهى من أُمَيَّةٍ،
ومَن إنْ عدوٌّ ضِيم واستُصرخوا هَبُّوا،

رَمَوا عند سَمع النعْي شَهْمَ سلاحهم
وقالوا: «لِهذا الشَّهْب نُكِّست الشُّهْب!»

*

تَخيلتُهم يومَ الغدير وقد سما
سماوِيُّهم: «بَلِّغْ!»، فمُزِّقتِ الحُجْب،

فقال: « أَلا مَن كنتُ مَولاه فَلْيَكُنْ... »
وأكملها. يا طيبَ ما اكتمل الدَّرْب !

وكـانت إماماتٌ وكــانت مَطــارحٌ،
مَحَـطُّ نُزولِ الله أو يَقْـرُبُ القُـرْب،

ففـي كُلِّ أرضٍ بعـدُ بيتٌ مطــيَّبٌ
على اسمِ الأُولى في الكُتْب ليس لَهُم شَطْب

ومَـن لا يُحِبُّ البـيتَ، سيــفُ عليِّــه
جميـلٌ، وذاكَ النَّهْـجُ كوثَــرُهُ عَذْبُ ؟

كلامٌ كمــا الأربــابُ في طَيلسانهـــا،
ألا فَلْتَداوَلْــهُ وتَرتــعشِ الكُــتْبُ !

سائليني

سائِليني حين عطَّرتُ السَّلامْ:
كيف غارَ الوردُ واعتَلَّ الخَزامْ،

وأنا لو رُحتُ أسترضي الشذا
لانثنى لُبنانُ عِطراً، يا شآم!

ضِفَّتاكِ ارتاحتا في خاطِري،
واحتمى طيرُكِ في الظَّنِّ وحام.

نَقْلَـــةٌ في الزَّهـــر أم عَنْدَلَـــةٌ
أنتِ في الصَّحْـوِ وتصفيـقُ يمـــام ؟

أنــا إن أودعْتُ شِعــري سكـــرةً
كنتِ أنتِ السكبَ أو كنتِ المُدام.

*

رُدَّ لي من صَبوتــــــي، يا بَرَدى،
ذكريـــاتٍ زُرنَ في لَيَّـــا قَوام،

ليلـــةَ ارتـــاح لنـــا الحَـــوْرُ فلا
غُصُنٌ إلاَّ شَجٍ أو مُستهـــــــام،

وتَهـــــاوى الضوءُ إلاَّ نَجمـــــةً
سَهِــرَت تُطفِـــي أُوامـــاً بِأُوام،

سألتنـــــي مِن دلالٍ قُبلـــــةً
يُعصَرُ الدَّهـــرُ بِهـــا كأْسَ غَرام،

وارتَــمت يَكْسِرُ مِن هُدْبِ لهـــا
مُسهَبِ الطُّــولِ حيــاءٌ واحــتشام،

وَجِــعَت صَفصافــةٌ مِن حُسنهـــا
وعرى أغصانَهـــا الـــخُضْرَ سَقــام،

فحَسَرتُ الشَّعـــر عَن جَبهتهـــا
أسألُ الحُسْنَ أفـــي الأرض أقــام ؟

وتَأنَّـــيتُ أُمَلِّـــي خاطـــري
قَبــل أن يحجُبَهـــا ضَمُّ الهُيـــام،

أو لِخَــوفٍ بي علــــى ثانيَـــةٍ
سَوف تمضي فمُنى العُمر حُطـــام،

لم تَدَعْ لي شقــوةً أحيـــا بهـــا
ورَنَت يَمــلأُ عينيهـــا ابـــتسام،

أومأتْ لي... فامَّحــى كُلُّ سنــىً
مرهِـق ٍ، غيــرَ فم ٍ عذبِ المَـــلام،

وإذا قُبْلتُنــــــا فرَّ إلــــــى
عالَـم ٍ أبهــى وسُكْنــى في مَنــام.

تَقِـــفُ النَّجمـــةُ عن دورتهـــا
عنـــد ثغرَيـــن ِ ويَنهـــارُ الظـــلام.

*

طَوِّفــي بي، ذِكرياتـــي، طَلْقَـــةً
واغنمــي أطيــابَ ذيَّـــاكَ الوِئـــام،

وآمْرَحــي بيـــنَ دمشق ٍ وحِمـــى
تلكُـــمُ الصفحــةِ مِن رِفعـــةِ هام،

خطَّهـــا صيـــدٌ أُبـــاةٌ غَصَبـــوا
حَقَّهـم، والحَـــقُّ غَصْبٌ أو حِمـــام،

غالَبوا السَّيفَ عريقاً حَدُّهُ
فانثنى السيفُ وفي الحَدِّ احترام.

هذه «الغوطَةُ» أوفى تُربةً
بهمُ أَم جبل «النَّبْكِ» القُدام؟

كَم فتىً بات فراشاً سرجُهُ
نامَ والكَفُّ على سَيرِ اللِّجام!

وفتاةٍ خَلعتْ أُسوارَها
تَشتري حَلْياً لها غَيرَ كَهام[1]!

وشجاعٍ لم يَسَعْه عُمرُهُ
راحَ يحيا سَعَةَ الموتِ الزُّؤام!

---

١) من كَهَمَ السيفُ أي كَلَّ.

أُسْدَ الثَّـــــورة ! وُسَّدتُـــــــم ثرىً
هو مِن مَشرِقِنـــا الأَرضُ الحَـــرام،

طَيِّبَتِـــــه من جَنـــوبٍ نَفحــــةٌ
عَبــقَتْ مِن ضارِبٍ في الأُفْق، سام،

جَبَـــلٌ(١) يجمـــع في أَصلابـــه
دَعــةَ السَّفــح الـــى عِزِّ السَّنــام،

التُّرابـــاتُ به أَهْـــلُ وفـــاً
ومِـــحَكٌّ يَزِنُ الحُـــرَّ الهُمـــام،

ولـــه أَهلـــونَ إن يَنْتَسبـــــوا
يَشمَـــخِ الرُّمْـــحُ ويَعْتَـــزَّ الـــحُسام.

---

١) جبل الدروز.

قُلْ لِذاكَ اللَّـيثِ[1] في آجامِه:
واحِـدٌ نحـن إذا الشامُ تُضام،

سائِـلِ الأَبطـالَ: هل تُنسى لنـا
رِفْقَـةُ الأَخذ بأَغـراضٍ جِسام؟

ولَظى الجِرمانِ مِن أَهـلٍ ومِـن
غَفـوةٍ قَمـراءَ في تلكَ الخيـام؟

وٱلْتقـاءُ المـوتِ ضَنًّـا بِعلْـى
وأَحاييـنَ اشتياقـاً لاقتحـام؟

حُرُمـاتٌ بيننـا أَنقـى سنـىً
من ذُرى الحَرْمونِ أَو طُهْرِ الغَمام،

---

١) سلطان الأطرش، قائد ثورة ١٩٢٥.

قد سَقينا بالدم المَجْدَ معاً
ومعاً خضنا المجالاتِ الكِرام،

وعَهِدْتُ السيفَ في سلطانه
ناصِعَ الإفرندِ لم يَذْمُمْهُ ذام،

شيمةَ الليث انثنى مُدَّخِراً
صولةَ الضاري ليومٍ ذي جَهام.

*

يا سفينَ المجدِ، ردّي ما انطوى
واقحمي الأمواجَ حين البحرُ طام.

يُسْلِسُ الدَّهرُ قِياداً للذي
يتحدَّاه سهاماً بسهام.

جَدِّدي ما وسِعَ الهَدْمُ فما
بسوى الهَدْم لِبانينَ اعتصام،

وأُلْفـــي المَـــرَّ بسطحـــيٍّ المُنـــــى
ليس يُرضي النَّسْرَ ما يُرضي الهَـوام،

العبودِيّـــاتُ مثْنـــى عندنـــا:
في الحِمَـى غازٍ وفـي العقـل قَتام،

تِلْكُـــمُ دالَت وهـــذي لم تَزَلْ
سُوسَةً تَبْـــري فَتَفْـــتَتُّ العِظـــام.

آهِ! مَن لي بغـــد أدنـــى الـــى
سَلسَلِ الحُلْـمِ وأَبهـى من مرام؟

تطـــــأُ الشامُ به مُختالَـــــةً
ساحـــةَ المجهـــول أو شأْوَ الأَمام،

الحضـــاراتُ هُنـــا منبتُهـــا
شُـدَّتِ الدُّنيـا الـى هٰـذي الأكـام.

*

ظَمِـئَ الشرقُ، فيـا شامُ اسكُبـي
واملأي الكـأسَ له حتى الجَمـام !

أهـلُكِ التاريـخُ من فَضْلتهـم،
ذكْرُهُـم في عُرْوةِ الدَّهـرِ وِسام.

أُمويُّـون فإن ضِقْتِ بِهِـم
أَلحَقُـوا الدُّنيـا ببستـان هشام.

أيُّ رأيٍ[1] أنتِ ما نشَّأْتِـهِ
توأَمَ السَّيـفِ لِفَصْلٍ واحتكـام !

خلبَ الدُّنيا بمـا افتَـنَّ، اهتِفـي:
كبُـرَ المرمـيُّ يومَ الحـقُّ رام.

*

---

1) فارس الخوري.

تَمتــم المَجــدُ وناغـــى حُلمَـــهُ
فوق كفَّـــيكِ إذِ المجـــدُ غُلام،

وهـو حُلْـمٌ لو درَوا أيـــن انتهـــى
لأتتكِ الأرض حجًّـــا لمقـــام.

يا طريقـــــاً من دمشقٍ لم يزلْ
لفتـــةَ الدنيـــا وإجـــلالَ العِظـــام،

بَيْـــن تَخْمَـيكَ تَجلَّـــى للنُّهـــى
مَطْلِـــعُ الحـــقِّ وتعليـــمُ السلام،

فإذا جُدِّلَ عن مُهرتِــــــــــــهِ
شاوَلَ وانـــكبَّ في ذاكَ الرَّغـــام،

رُحْتَ تَلقـــى مَصرَعَ العقـــل اذا
كانَ للعقـــل معَ الحَـــقِّ اصطـــدام

*

شامُ، يا دارةَ نيسانَ، سَقَت
مرجَلكِ الخيراتُ في الغيثِ السِّجام!

عِشتُ يَغنى بِكِ شوقي كلما
زُرتُ، والزَّورةُ شوقٌ مستدام،

فكأني شارِبٌ ليس يعي
خوْفَةَ القائلِ: خُذْ آخرَ جام!

وتؤاسيني، إذا حَمَّلتِها
منكِ شيئاً، مَشرِقيَّاتُ النِّسام.

لكِ قال الحُسْنُ مذ هِمتِ به،
ذات صبحٍ، ونَضا عنه اللِّثام:

من أنا؟ أُغنيَّةٌ لم تكتمِلْ،
رُصِدت... الا اذا كنتِ الخِتام،

وأقاحِيُّ نَمَت في «دُمَّرٍ»
أوَّلَ الدَّهرِ وماتت في الفِطام،

فإذا عادَت حياةً طَفِقَت،
من حَنينٍ، تَجِدُ الدُّنيا شآم.

*

أنا لستُ الغَرِدَ الفَرْدَ، إذا
قال طابَ الجَرْحُ في شجو الحمام.

أنا حَسبي أنني مِن جَبَلٍ
هو بين اللهِ والأرضِ كلام.

قِمَمٌ كالشمس في قِسْمَتِها
تَلِدُ النُّور وتُعْطيهِ الأنام.

غنّيتُ مكّةَ

غنّيتُ مكّـةَ أهلَهـا الصِّيــــدا،
والعيـدُ يمـلأُ أضلعـي عيــــدا.

فَرِحوا، فلألأَ، تحت كلِّ سَماً،
بيتٌ على بيتِ الهُـدى زيـدا.

وعلى آسم ربِّ العالَميـنَ علا
بُنيانُهـــم كالشُّهبِ ممـــدوداً.

يا قارئَ القُرْآنِ صلِّ لهم،
أَهلي، هناكَ، وطيِّبِ البيدا.

*

مَن راكعٌ ويداهُ آنستا
أَنْ ليس يبقى البابُ مرصوداً.

أَنا أَينَما صلَّى الأَنامُ رأَتْ
عيني السَّماءَ تفتَّحتْ جُودا.

لو رملةٌ هتفتْ بمبدِعِها
شَجْواً لكنتُ لشجوِها عُودا.

ضجَّ الحجيجُ هناكَ فاشتبِكي
بِفمي هُنا يا وُرْقُ تغريدا.

وأَعِزَّ، ربِّي، الناسَ كلَّهُمُ
بِيضاً فلا فَرَّقْتَ أَو سودا:

لا قفـــرةٌ إلا وتُخصِبُهـــــا،
إلاَّ ويُعطى العِطرَ، لا عودا.

الأرضُ، ربِّـي، وردةٌ وُعِـــدتْ
بكَ أنتَ تقطِفُ، فاروِ موعودا.

وجمالُ وجهِكَ لا يزالُ رَجاً
يُرجى، وكُـــلُّ سِواهُ مردوداً.

نَسَمَتْ

نَسَمَتْ من صَوب سوريًّا الجَنوبُ،
قلتُ: هلَّ المشتهى، وافى الحبيبُ،

أشقرٌ، أجملُ ما شعَّثت الشمسُ
أو طيَّرتِ الريحُ اللَّعوب،

شَعَرٌ أُغنيَّةٌ قلبي لَهُ،
وجبينٌ كالسَّنى عالٍ رحيب.

أنا إن ساءَلتُ: أيُّ مضَّني ؟
قالَتِ القامَةُ: حُبِّيك عجيب !

مثلَما السهلُ حبيبي يندري...
مثلَما القِمَّةُ يعلو ويغيب...

وبه مِن بَرَدى تَدفاقُهُ،
ومِن الحَرْمونِ إشراقٌ وطيب.

ويحَهُ ذاتَ تلاقينا على
سُنْدُسِ الغوطةِ والدنيا غُروب،

قال لي أشياءَ لا أعرِفُها
كالعصافيرِ تُنائي وتَؤوب،

هو سَمّاني أنا أغنيَّةً
ليتَ يدري أنَّه العودُ الطَّروب.

من بلادٍ سكـــرةٍ قال، لهـــا
تُرْبَـةٌ نايٌ ونَهْـــرٌ عندلـــيب.

ويطيب الحُبُّ في تلك الرُّبى
مثلما السيفُ إذا مُسَّتْ يطيب.

شامُ يا ذا السيفُ

شامُ، يا ذا السيـفُ لم يَغِبِ،
يا كلامَ المجـدِ في الكُتُبِ!

قبـلَكِ التاريـخُ في ظُلْمـةٍ،
بعـدكِ استولـى على الشُّهُبِ.

سَكـرةٌ يومُكِ، ما الكـأسُ
بالكأسِ دُقَّتْ؟ ما ابنةُ العِنبِ؟

لي ربيـــعٌ فيكِ خبَّأْتُــــه
ملءَ دنيــا قلبــيَ التَّــعِب،

يومَ عيناهـــا بساطُ السمـــا،
والرمـاحُ السُّودُ في الهُـــدُب،

تَلْتوي خصراً فأُومـــي الـــى
نغمـةِ النـــاي: ألا انتحِبـــي !

أنـــا في ظلِّكَ، يا هُدْبَهـــا،
أحسبُ الأنجُـــمَ في لُعَبـــي.

*

طابتِ الذكرى، فمَن راجـعٌ
بي كما العودُ الى الطَّـرَبِ ؟

شامُ، أهلـوكِ إذا هُمْ علـــى
نُوَبٍ قلبـــي علــــى نُوَب،

أنـــا أَحبابــيَ شِعــري لَهُــمْ
مثلمـا سيفـي وسيــفُ أبـــي.

*

أنـا صوتـــي منكَ، يا بردى،
مثلمـــا نبــعُكَ مِن سُحُبـــي.

ثَلْـجُ حَرْمــونَ غذانــا معــاً،
شامخاً كالعِــزِّ في القُـــبب.

وحَّـــدَ الدنيـــا غداً جبـــلٌ
لاعبٌ بالريـــحِ والحِـــقب!

مُرَّ بي

مُرَّ بي، يا واعِـــداً وعَـــدا،
مثلمـــا النسمـــــةُ من بَردى،

تحمِـــلُ العمـــرَ، تُبـــدِّدُه،
آهِ ما أطيبَـــــــــهُ بَدَدَا !

رُبَّ أرضٍ من شذاً ونـــدىً
وجِراحـــاتٍ بقـــــلب عِدى

سكتتْ يوماً، فهل سكتت ؟
أجملُ التاريخِ كان غَدا !

واعِدي، لا كنتَ من غضبٍ،
أعرِفُ الحبَّ سنىً وهُدى،

الهوى لَحْظُ شآميةٍ
رقَّ حتى قلتَه نفدا،

هكذا السيفُ ! ألا انغمدت
ضربةٌ والسيفُ ما انغمدا.

واعِدي، الشمسُ لنا كُرَةٌ،
إنْ يدٌ تتعبْ فنادِ يدا...

أنا حُبِّي دمعةٌ هجَرتْ
إنْ تَعُدْ لي أشعلتْ بَردى...

مَن شاعرٍ *

لا مُذْ بكيتُكَ، لكِنْ قبلُ مُذ سكَتَتْ
يراعـةٌ لك، قَلَّ الهَـمُّ في الـــغُصُنِ،

غَصصتُ بالدَّمـع، هَل فرَّت بلابلُنـــا
طُرًّا، فما مِن شجِيٍّ بعدُ أو لَسِنِ ؟

• في ذكرى الاخطل الصغير.

أنا الذي قال: يا شِعرُ، ابكِهِ وأجِـدْ
من قبلِ ما كان لا، يا شِعْرُ، لم تكُنِ!

*

مِنَ الينابيعِ، من عينَـيَّ صوتُكَ، مِن
ضَوْعِ البنـفسج أضلاعٌ له وحِنــي،

سِرُّ الرَّنيـن، وهــل إلاَّكَ يَفضَحُــهُ؟
يا ناقِرَ العود مِنه العودُ في شَجَنِ!

والكونُ قُلْهُ رنينَ الشِّعر، قُلْـهُ صدىً
لِكَـفِّ رَبِّكَ إذ طَنَّت علـى الزمـنِ.

ما العمرُ؟ ما نحنُ؟ ما هذي التي كتبتْ
قوسَ الغمـام وغُنْـجَ الزنبَـقِ الغَـرِنِ؟

تَشظِّيـاتُ نجــومٍ عن يدٍ فَجَـــرَتْ
حُبَيبـةَ الشيء، وجـهُ الله مِنـه دُنِــي.

فنحنُ هٰذون، لمَّا نبْقَ في سَفَـــرَ،
علـى الرَّنيـن، نجومـاً رُحَّـلَ السُّفُـنِ.

*

حَبَبْتُ فيك البليـلَ الـبَـثَّ لا يَبِساً،
لليل غنَّى وغَنَّوْا للضُّحى الـخَشِنِ...

مَنْ لا يَضِجُّ، ويُــق الآهَ سيّــدةً
على الكلام، يُؤاخِ الطَّيرَ في الفَنَنِ،

نَسْجُ التنَهُّــدِ، لكـــن لا يُهَلْهِلُــــهُ
سَهْلٌ، ففي خيطِهِ من شَمْخَةِ القُنَنِ،

ضَوءٌ خُصصتُ به، بَعْضُ الذي احتَفظت
ببعضِهِ الشمسُ إذ هَلَّت علـى عَدَنِ.

*

قرأْتُ شِعْرَكَ، ما أُمِّي تهدهدُنــي؟
تَحكي حكايةَ بِنتِ الريح والفَطِنِ...

أحبَّهـا لم تَزل في قلبـه خَبَـراً
ولم يَحِنْ آنُ عينيها... ولم تَحِنِ...

شقراءُ شقراءُ قلتَ الصخْرُ مسكِنُها
قد حَدَّثَتْهُ بها عصفورةُ الـوَسَنِ،

فهَبَّ، إغفاءَةُ العينين تُسكِـرُه،
يقول: لا تَقْوَ، يا حُلْمي، ولا تَهِنِ،

إبْقَ الذي أنتَ! لا أبهى لِمبتهجٍ
من السعادةِ لم تَخشَنْ ولم تَلِنِ.

وقال: هَل هيَ ما قالت مُحدِّثتي،
وما تمايَلَ بين السرِّ والعلنِ؟

خطوطُ قامتها في الكُتْبِ ما قُرِئَتْ
لكنها اشتَعلَتْ في بالِ مُفتَتِنِ.

فِي ظِلِّ مجدولتَيها العمرُ... في فَمِها
شَطرانِ للقَمرِ العالي على الدُّجَنِ.

سَجينَةُ الصخرِ، هل إلا غلائلُها
سِجْنُ الجمال؟... ألا، يا ريشتي، انسَجِني،

لعلَّ أن تُلهميني كيفَ أبلُغُها،
وكيفَ أخطَفُها من قَبْضَةِ الحُسُنِ،

أشُجُّ صَخْراً، أُري الازميلَ ما لَعِبي،
أُعيي الصُّعوباتِ، أُغري عُقدَةَ السُّنَنِ،

حتَّى إذا التمعت غُرّاً ملامحُها
هَتَفْتُ أجزَعُ: لا حُطِّمْتِ، يا وثني...

ما أفتنَ الأخذَ من شَدْقِ الرَّدى، ويدٌ
تَهُمُّ بالخَلْق، تَرمي الروحَ في البَدَنِ!

ولا علَيَّ أَقولُ... آشتَدَّ يا ظُفُري
حَطِّمْ وحُطَّ الغِوَى، صُنْها ولا تَصُنِ...

غامرتَ ؟ أَكمِل. لك الكاساتُ، أَطيبُها
ما قيل سُمًّا ولم تَحْفِلْ ولم تَزِنِ.

وكان أَن نالها ذَيّالِكَ الفَطِنُ
الكسَّارُ للجَلْمَدِ، اللَّعَّابُ بالسُّنَنِ !...

عروسُهُ هي وافَتْ أَم قصيدتُهُ ؟
فدَيتُ أُمِّي نَضَت سِتراً ولم تُبِنِ !

*

مَن شاعِرٌ ؟ مَن تَظَلُّ الريحُ دارَتَهُ
ترمي بأَبراجِها في الأُفْق لم تُشَنِ،

حجارُها شَرَفٌ ! فاسمَعْ تنفُّسَها
بالنُبْل، قلتَ: بِهِ قَبْلَ الجَمال غُني.

أكيدةً مِن هنا، مِن مقلَعٍ وقَعَتْ
عليه ريًّا غصونِ الأرزة اللُّدُنِ.

أللهِ نحن! أما نحيا لأُغنيةٍ،
نَشوى بها لفتَةُ العُقبانِ في الوُكُنِ؟

إن شدَّنا البحرُ لا ملآنَ بعدُ بنا
نُفْرِغْهُ منه أنِ آسكُنْ أو بنا آنسَكِنِ!

جِبالُنا هي نحن: الريحُ تضرِبها
نَقوى، وما يُعْطِ قصفُ الرعدِ نَخْتَزنِ،

عِشنا هنا لا نُهَمُّ، الفَقْرُ مرَّ بنا
ومرَّ مَنْ شِبْرُ أرضٍ غَرَّهُ فَفَني...

لِلفقر قلنا: استرحْ، للمستبدّ: أشِحْ،
غداً على الرمل لا يَبقى سِوى الدِّمَنِ،

ويأْخُذُ الرفشُ في جَمْعٍ... هنا خُوَذٌ...
هنا أساميُّ... فادْفِنْ، رفشُ، واندفِنِ...

*

غَنَّين غنَّين، يا كاسات، قُلْـــنَ له:
ماتت لنا الخَمرُ والعنقـودُ في حَزَنِ.

الـحُبُّ خَمَّش خدًّا واشتكـى وبكـى،
واستـوحَشَ القَمَـرُ الرانـي فلـم يَرِنِ.

تَمُــــرُّ بالأُذُنِ الآهاتُ تسأَلُهـــا:
أنحـنُ، من بعــدِه، الآهاتُ للأُذُنِ ؟

غنّينَ غنّينَ... قُلْنَ: المجـدُ في يُتُـم،
شِعْـرٌ بلا المجـدِ رايـاتٌ بلا وطـنِ.

من لِلعُلى ؟ لِلصدارات العُلى ؟... أبداً
تبقى الكرامةُ بين الناسِ في غَبَـنِ ؟

غنِّينَ غنِّين... صَوتي ضاع... باتَ صدىً...
كالحِصْنِ دُكَّ وظلَّت هيبةُ الحُصُنِ !

*

إنـي لأُجرَحُ، يا كاساتُ، يا دِيَمـي،
أن يَشمَتَ الموتُ بالباقين كالزَّيَـنِ !

حقـاً سيغـدو كذُملـوجٍ بمِعصمهـا
حسناءُ لولاه لم تُشْرِق ولـم تَكِن[1] ؟

عَتبتُ ، ربِّي، عليكَ !... الشِّعرُ سَيِّـدُهُ
مات ! آآمُرِ المـوتَ لا يَقْهَـرْ ولا يجن[2] !

أأبـى عليـه أنــا تُبلـي أصابِعُـهُ
مَن عن أصابعه السِّحْرُ انجنى فجُنِي.

---

١) يضرب.

غنِّيـنَ غنِّيـن... يا كاساتُ، يذبحُكُـنَّ
الشوقُ... غنِّين... إن الشَّوْقَ منه ضُنِي!

أَلُـــوذُ بالقبـــر ما أَدري أَأَعْرِفُـــه ؟
أَما محَتْ نَقْشَتَيْـهِ دَمْعَـةُ المُـــزُنِ ؟

أَثـورُ! آخُـذُ بالصُّلبـانِ من غضبٍ،
أَردُّهـــنَّ وأَغـــوى أَسْيُفَـــاً وقُنَـــي...

يَمُرُّ في خاطري رَهْطُ الرجـال مَضَوْا
ومـا مَضوا تُرَّكـاً لي إرثَ مُؤتمِـنِ،

لِهٰهُنـالكَ هُمْ سَيْـفٌ، أَنـــا لِهُنـــا!
أَفي بِمجدٍ وبـي صَرْحُ الوفـاءِ بُنِـي.

« رُدِّي جمالَكِ »، يا دنيا، أَقولُ مع
الأَبطال[1] ، « غُرِّي سوايَ » اليومَ وآدَّهني!...

١) الكلام للامام علي.

هم يَذْنَقُــون، وهَمِّــي النَّــارُ أُشعِلُهــا
مِنْ كِسْرِ عَظمي وإن يَنْفَدْ فمِنْ كَفَني...

ما المالُ ؟... قولـةُ « لا »... واللهِ أَلْبَسُهُ
بِه غَنِــيتُ وغيــري بِالتُّــرابِ غَنــي.

المعلّم

قرأْتَ كتابَ الكـون سطـراً محـا سطـرا،
مُعَلِّمُ، عُدْ فاكتُبْــهُ أَجمــلَ ما يُقــرا !

أَصابعُكَ استـولت علـى العقـلِ فازدهـى
تُبــاشِرُهُ نَثْــراً فتتركُــــه شِعـــرا...

وتلتَـفِتُ الدنيــا وقــد عُلِّــقت علـــى
فمٍ لكَ قال السِّحرَ أَو أَبطـل السِّحـــرا

لَأَنتَ بيـــال الله كنتَ، بُعيدَمــــا
رمى الأَرضَ عن كفٍّ وقال: اشتهي أَمرا !

فحــارَتْ: كأَنَّ الليــلَ ليسَ يلفُّهـــا،
ولا يتغــاوى الجهْــلُ يَرمقهـــا شزْرا،

فقال: آنطِقي، إِمَّــا تَلعثــمتِ أُقلــقت
ببالــي أَفازيــرٌ وأَعمِــدَةٌ سكـــرى،

مِنَ الطُّرَفِ اللائــي سأُخْلُــقُ، يومتــا
سأَرتـاح، والأَفكـار تَغمُرنــي تَتْــرى...

أَمرْتُكِ فُكّي عُقـدةَ الصمت وابسِمي
لِوجهـي، لَقَفْـرٌ أَنتِ مُبتلِـعٌ قفـرا !...

على أَنها الأَرضُ استمرَّتْ عييَّــةً،
فَمَـدَّ إِليها الخَمْسَ يرسُمُها ثَغْــرا،

ورأساً، وبعضاً من خَيــال أميــرةٍ،
لها يومَ عدِّ الحُسن يُؤبه أو يُدرى،

فمـا هِيَ أنْ ضاءَت وغنَّى جمالُهــا
لها وروى، حتَّى أفاقَتْ كَمِنْ ذِكرى،

وشالت برأسٍ صوب عينيــه قُلتَهــا
كما ستكون الكأْسُ إذ تمتلي خمرا،

ولامس أُذنَ الله هاتِــفُ قلْبهــــا:
ــ بلى، ربِّ، هاني أَشتهي القَلَمَ الحرّا،

أَلا اخلُقْه، لا كالناس، هُمْ تُربَةٌ رِضىً
تفي، وهو غرَّاسٌ كما يَدُكَ الخَضرا،

عَلِيٌّ جبينٍ، حازِمُ اللمح، أبلَــجٌ،
يَمُـــــرُّ به نَسْرٌ فَيَعْرِفُـــــهُ نَسرا.

تصوَّرتُهُ والرَّوضَ. ما بيـــنَ زَهــرِهِ
وضِحْكَةِ عينٍ؟ إنَّـه الأَمَلُ افتـرَّا...

تصوَّرتُه والريحَ. ما بيـــن عَصفهـَا
وقَطْعٍ بمعنىً؟ إنه سَلْكُكَ الدُّرَّا...

تصوَّرتـه والشمسَ. ما بيـــن بَزْغِهـــا
وهَشَّةِ وجـهٍ؟ إنهـا الصِّلَـةُ الكُبـرى.

*

مُعَلِّـــمُ، لُمَّ الزقزقـــاتِ وحُطَّهـــــا
على فمِ طفلٍ شِئتَـهُ النَّقْلَ والكَـرَّا.

بِمِلْءِ جَناحٍ لم يَطِرْ، إنمـــا رنـــا
إليـكَ، فأَعـدَدْتَ انطلاقتَـــهُ الحَـــرَّى،

وشِئتَ له أَنْ يَستعيـــرَ شموخَـــــه
من الأَرز غَنَّـــاهُ الزمـــانُ إذا مَرَّا،

وشِئتَ لَه أُن يَجْبَهَ السيفَ بالُهُ
فيدركَ أَن البالَ يَفري ولا يُفرى.

*

مَن العلَّمونا؟ مَن يكونون عزمةً
وقرعاً لبابِ المستحيل خَفى السِّرّا؟

رياحٌ! بلى، هم كالرياح مهابةً،
على أوجُه الأُخّاذ قد حُفِروا حفرا،

وتُعطيك عينٌ منهُمُ قلتَها يداً،
وتُعطيك تُعطي بسمةٌ ما التَوتْ صَفْرا،

بِها مِن محيًّا الوالِد الصَّعْبِ لَهْفَةٌ
تُهيبُ أنِ اقطِفْني ولا قطفَكَ الزَّهْرا!

ويُعطيك نُطْقٌ حامِلُ العِلْم ما انتهى،
ومُبتدِعُ الأفكار فجَّرها غَمْرا...

وتعطيك، إن تُشْلَحْ على اللوحِ، أنملٌ
وتَكتبُ ما الدُّنيا... وتكتُبُ ما الأخرى...

خواطرُ قُلْهُنَّ الخصورَ تمايَلَتْ،
وقُلْهُنَّ صار الحُسنُ مُنْحَبِساً قسرا.

*

سألتُ الأُولى خلف القُرى، فوقُ، علَّموا
تقيهم نَداها، السنديانةُ، والحَرّا:

تُرى ثانويونَ الذين احتضنتُمُ؟
تعالَوا نَقُصَّ المجدَ، نستلفتِ الدهرا!

أفِقْ من كَرىً، زينونَ صيدا، قُلِ اسمَه
مُتَلْمَذَكَ المُضْفي على رومةٍ قَدْرا!

هُمُ شيشرونٌ، عندهم، ربُّ قولِهم
وعندك، طفلٌ يحفَظُ اللفظةَ البِكْرا.

أَفِقْ من كرىً، لِيبانيوسُ، ارمِهِم به
فمــاً ذهبيًّــا أنتَ نشَّأتَــهُ صَقْــرا،

فبـــــات إذا ما وَزَّعَ اللهُ طاولتْ
تجوعُ إلى فيهِ العصافيرُ أو تَعرى...

أَفِقْ من كرىً، مكسيمَ صورٍ، ورُدَّنا
إلى مركُريلِ السيفِ فتَّته فِكــرا،

فلم تبقَ أرضٌ لم تَهِمْ بخواطــرٍ
له، قلتَها الإنجيلَ أو شِعرَه نثرا...

أَفِقْ وآغوَ منها، أنطباطِــرُ، هَتفــةً
لكاتونَ طارت فهي هتفتُنا الحَمرا:

« لَأمَّا تَمُتْ حُرِّيَّتي لا أَعشْ أنــا »
وفي الصدرِ شكُّ السيفَ شرَّفه صدرا.

*

معي من نشيد المجد، قيثارتي، معي...
نَمُرُّ بدار العمر حيث قضى شطرا،

ونسمعُ مَنْ غنّته: « طِبْ، يا حَمامُ، طب
وهوِّمْ لمن منهم سيجترعُ المُرَّا... »

هُمُ لهـــــمُ، أواهِ! آنَّ يُذيبهـــــم
ضنىً، وهْوَ آناتٌ لَتَهْدُرُهُ هدرا...

حَمامُ، هُمُ اكذُبْهُم، هو اصدُقْه، إنه
سيعرِفُ أن يشقى، سيعرِفُ أن يُغرى...

حَمـــامُ، وثلِّثْـــه له الدمــعَ طيِّبـــاً
كما ابنةُ كرمٍ في الجبالِ اكتوتْ جمرا،

فمَـــن غيـــرُه يدري بأنَّ حياتَـــه
ينابيـــعُ حِرْمـــانٍ ويقصدَهـــا يَمْـــرا

فإمَّـــا قَسَتْ بالنـــاس داوَرَهـــا يداً
وإمَّا بدت أُقسى به التـمسَ العُـذْرا.

ويا طيرُ، يا طيرَ الحَمامِ، افتتِن بهـم
بَنِيَّ الرِّضى، أمّـا به فافتِـنِ الـعَصْرا !

هل العصرُ إلاَّ ما استطـارَ معلِّـمٌ
من الشَّررِ النَّزّالِ في الهِممِ النَّصْرا ؟

إذا القـــدَرُ الأَعمـــى تطـــاولَ ردَّه
ومِن خلفِـهِ الـنَسْرُ الأَبيُّ مشى نهـرا !

وتـمضي تُغنِّـي، ناسَ قِنديلُهـــا ولـــم
تزلْ تشتـري مجـداً وتـرفضُه خُسْرا،

تُغنِّـي وقـد طارَ الحَمـام ولـم يعُـــدْ
لِقصَّتِهـــا إلاَّ تأوُّهُهـــا جَهْــــرا.

أُغنية الجبر

كالهِند سرُّ الهندِ أَنتَ، وكالنُّهى
أَوَتنتهي ؟ وإِليكَ كان المُنتهى !

ماذا ! وتَنهزِم السيوفُ كسيرةً
ما نحن، تسألُ، ما الحَضيضُ مِن السُّهى؟

* في يوم نهرو.

أدَّبتهـــا تلك السيـــوفَ، فصُنتَهـــا
عمـا تَبـــذُّل، يوم يَصطـــرعُ البَهـــا.

كالهِنـد أَنتَ! لقـد جمـعتَ كتابَهـا،
سِفْـراً سيُقـراُ لا آستُذِلَّ ولا صَهـــا[١]،

عالٍ، ومِ الثلـــج البَتـــول بيـــاضُه
أَوْ مِ الحمالايـا وهاتـــيكَ الصُّهـــى[٢].

*

أَكملتَهـا النـفسَ الكبيـــرةَ[٣] لم تَكُـــنْ
ظِلاًّ ولـو للشمس تَبـراً من كَهـــى[٤].

١) أصيب بجرح.
٢) الأبراج في أعالي الجبال.
٣) المهاتما.
٤) كلف.

أَوْدَعتَ ما في كُلِّ بالٍ من هوىً
وبكـل ما يُرجـى، جُبـلْتَ، ويُكْتَهـى[1].

وَحَدٌ كما رُئـيَ المَـلاكُ رُؤىً، ومِـن
طِيب البساطـة أَيـن سُلطـانُ الدَّهـا؟

*

ضُربت على الشُّعَـف[2] العمالـقُ حكمـةً
هامت، كما الدنيا، تسائِلُ مَن لهـا؟

بالرَّعــد لاذت، بالريــاح، وبالصّبــا
من أَدهُــرٍ، وتشبَّــثت بالمُزدهــى،

حتــى إذا بَصُرَتْ بصدرك أفْيحــاً
ولَجَتْهُ فِردوساً لهـا... أَو شُبِّهــا...

---

١) يجلّ.
٢) القمم.

أفـــأنتَ من لُبنـــانَ نسجُ غمامـــــةٍ
أَو صوتُهـا، تلك المكوكِبَـةُ اللُّها ؟

أَو سكـــرةُ الازميـــلِ نُزِّل مُفْــرَداً،
في بعلبكَّ، علـى يَدَيْ رَبٍّ سهـا ؟

أَنا بعلبكٌّ لي... ولـي هنـدُ المــلَا
أُغرودتـــا بالٍ إذا الوتـــرُ اشتهـــى:

أُغنيَّـةُ الحجر استفـاقَ الـى العلـــى،
أُغنيَّـــةُ الشَّعبِ استقـــام فنُزِّهـــا،

تلك السُّمُـوُّ وهـذه الرِّفْــقُ اعتبِـــرْ،
يا خاطـري، ورِدِ الجمــالَ تألَّهــا!

هَنَّا خَصَرْنـا الصخَـر أُعمـدةً، علـــى
إفريزهـــا انتحـــرَ الزمــــانُ مُوَلَّهـــا،

وهنـاكَ قدُّوا النـفسَ كَونـــاً مُفعمـــاً
باللهِ أَروعَ ما أَبــاح ومــا نهـــى.

هَنَّـــا الضيـــاءُ مجمَّـــداً ومُقدَّمـــاً
للشمس إنْ شحّت، لِقلبكَ إنْ وهى،

يُعطـــي ويَرفَـــعُ، ما يدٌ إن قَلَّـــدَت
أُختـاً لهـا ؟ طابَ التَّفَـرُّدُ مَجبَهـــا !

ولَأَعْمُـدٌ ينـــهضن، يحملـــن السمـــا
بِدَعُ الجَهالـــةِ هُنَّ أو بِدَعُ النُّهـــى.

وجنـــونُ ربِّك فوقَ عَقْـــلِ عبـــاده
إلاَّ الأُولـى جَعلـوا الحجـارةَ نُبَّهـا...

وهنـــاك أَجنحـــةُ السلام تَخُطُّهـــا
في الأُفْقِ أَقـــلامٌ تَرَفَّـــعُ عن جَهـــا[1]

١) خراب.

مِن بعضِهــا كان البيــاضُ، وقبلُهــا
والبَعـدُ حاضرُهـا تَشعَّــعَ أُوجُهــا...

قالت صفـاءَ القـلب، وسوسةَ الحِلـى،
لحـظَ الأُميمـاتِ النواظِـرِ مِن رَهــا[1]،

وكأنمــا الأنهــارُ مِن بَشَرٍ ومِــن
صوتٍ ومن موتٍ... هي الزمن التهى !

*

أُغنيَّتــان ! الهنــدُ، سينــاءُ السلام،
وبعلبكُّ، لُقى الجمـال مجهجِهــا !

هاتــيكَ قد خَسِرَتْ يديك، وهــذه
أنَّـى لهـا إلهــامُ أعمــىً أكمهــا ؟

---

١) سعة.

مَن قلَّدَ البلـــدَ الكبيـــرَ كَراصِفِ
الحُسْنِ الكبير ! كلاهما لن يُكنها !

*

يا هائماً خَلَلَ الوجود، ألا اشتَعِلْ
في المُعوزين كما الزهورُ، كما الزُّها.

إحدى تعودُ الأُغنياتُ كما الهوى
في القلب إنْ صَدْرٌ إلى صدرٍ شَها.

كالهِند سرُّ الهِنــدِ أنتَ، وكالنُّهـى
أَوَتنتهي ؟ وإلــيكَ كان المنتهــى !

مُلْكٌ لكَ العُمْرُ

ما الموتُ ؟ شمخةُ رأْسٍ منكَ تُفتقَدُ
واسلَمْ بباقة شِعرٍ، عِطْرُها الأَبدُ !

مَهابَةُ الأَرز، بنتُ الفارِسيِّ، أَنا
نَبكيكَ، فلتتغاوَ السِّتَّةُ العُمُدُ.

* انشدت في يومي خليل مطران ببعلبك.

ومَن تُرى قال: ليستْ سَبعةً؟ أنذا
عَينِي إليكَ، ألا فلْيَكْمُلِ العَدد.

سِواكَ في الشِّعر فلتَدمَعْ عليه رُبىً،
وأنت فَلتُجرَحِ الغَيماتُ والجَلد.

مُلْكٌ لك العصرُ، ذاكَ القَصرُ تَرصُفُه
ذكراك. رُبَّةَ أمسٍ ضَجَّ فيه غَدُ.

كأنني بِكَ، يوم انزحتَ عن جبلٍ،
تنزاحُ رَدَّتْكَ صوبَ الخالدين يد!

والخالدون هُمُ البُدَّاع، من بَعُدوا،
حتى إذا لحِقت دنيا بهم بَعُدوا.

عانيتَ، عانيتها الجُلّى، كما لُعَبٌ
للكَسْر قد أمَّلوها أنَّكَ الولَد.

وآنَ رُحْتَ تغنّيهـــا سَمــوتَ بهـــا،
كَذا يَمَسُّ الخريـفَ الطائـــرُ الغَـــرِد.

لأنت والفكـــرُ هَمُّ الله هَمُّكُمـــــا،
والآخرونَ بيـــــال الله ما وردوا...

ماذا تَرَكْتَ خلا الأَخلاقَ ؟ لو جَدَثٌ
يَحكي لقال: « السنى في حُفرتي بَدَد ! »

ديوانَ شعرٍ، تُراها الحِكمَةُ انحـبست
في دَفَّتَينِ، كمـا في الغَيمـةِ البَـرَد ؟

هُنـــا الــمساءُ ونيرونِيَّـــةٌ، وهنـــا
فَتاتُـهُ الجبــلُ المحلــولِكُ الحَـــرِد.

أُختُ التـي بالضنـى والآهةِ اتشحت،
وأَسبلت أشقــراً بالريـــح ينعقـــد.

لَهْفي ! أبوها قضى، مَن كان يكفُلُها،
يُتْمُ الحرائــر جُرحٌ ليس يَنضمِــد !

لا هذه سَكتَت، لا تِلكُمُ انغمدت
إلاّ إذا مَن غَزَوا أقداسَها انغمــدوا.

ومـــرَّةً هٰهُنـــا الآبادُ عاصفـــةً
بالنفس، قلتَ بسجنٍ قُطّع الزَّرد.

ومَن يَعِشْ فوقُ، عَيْشَ الصَّقْر، وُكْنَتُهُ
على الشّعافاتِ، لا تَستغوِهِ المُلُــدُ.

القولُ لا قال... قال الفعْلُ. فاحترزي
يا قامةَ الرمح، أنتِ الطَّعْنُ لا المَيَد.

غالَيتُ ؟... ما ريشةٌ في الكفّ مُشجِرَةٌ ؟
ما جلمــدٌ جُبّتيرِيٌّ السنـــى فَرِد ؟

أيٌّ أَداتُك ؟ لو خُيِّــرتُ قلتُ: « به
كتبتَ، ذاك العمودُ الصامِدُ الصمـد،

غطتَــه فــي مِــدادٍ أَنْتَ عاصــرُهُ
مِ الشمس أو مِ الرياحِ الهِيفِ تَتَّقد ! »

مَن كان عُوفِيَ لو أَنتَ انضنيتَ ؟ أَلا
أَهِبْ بأَنَّـا قُدامـى الفتــح والجُــدُد.

وُحِّدتُمـــا أَنتَ في الآساد باكيـــةً
وبعلـــبكٌّ... كلا فَتَيكمـــا أَسَد !

تآخـذا، شطـرُ بيتٍ وانهيــارُ عُلـــىً
مِن باب بانُحسَ كادَتْ بالرَّدى تَفِـد،

تقول: « مَن يَسْمُ بي، حتى لَيُرجِعُني
إلـيَّ، يَشْهَـقْ له مِن ضَوئِـيَ الجَمَـد،

روحٌ له أنا ذي، وليشْقَ فَهْو أنا،
وبعدُ فَلْيَفتَرِقْ عن روحه الجسد ».

وقبلَ أن أُرجِعَتْ، كانت يراعتُك
افتنَّت تلاعبُ من عَلَّوا ومَن عَضَدوا.

وأعنقتْ لَفْظَةٌ حتَّى لماد لها
مادٌ وقال: « انزِلي في النَّهر نبترد

فان وقعت على زَندي وجِعتُ أنا
للحسن أَطلبه في حَيثُما أَجد !

أَكون عدتُ هباءَاتٍ فيخلُقني
خَلْقاً، كأَنيَ مما لا أَنا أَرِد.

أبهى من البدءِ رَدُّ البدءِ ملعبةً،
فالعَبْ بكونٍ... ودَعْهُمْ يُفْنِهِمْ حَسَدُ... »

* * *

وعَنْـدلت قافيـاتٌ منكَ، فانتبـهت
حسناءُ نَقشُ عُلىً، في عُنْقِها صَّيَد.

ـــ أَنتنَّ مَن ؟ قلن: « لا تَجَّاهَلي اذْكري،
أَما لأَنكِ زلفاءٌ لنـا سجـدوا ؟ »

*

خليلُ، خِلتُ العظيمَ البعدُ مُتَّكِئٌ
في مقلع العِزّ، مَن لم يَحِكه أَحد،

يقول: « فوقِيَ فَلْتُنقَشْ، فلا حجرٌ
سِوايَ أَخْلَقُ بالمجد الذي فقدوا ! »

*

صديقَ لفتةِ عُمْرٍ، قد وعدتُكَ، لا
أَخلفتُ، لا يُخلف الابطالُ إن وعَدوا.

أَلمعتُ... فاعذِرْ ... فما إلاّ على قلمي
اصطكَّتْ سيوفٌ ولا إلاّ بيَ الحُشُدُ.

مُعلِّمـــي أَنتَ في الحُرِّيَّتيـــن: هوى
العُلى، وعَصْفـــيَ بالثُّـــوّار إن بَرُدوا،

هل كَذَّبوا ؟... قال لبنانٌ أنا... وأنـا
إمّـا وُجِـدتُ فبـــالأَحرارِ أُنوجَـــد !

دَاوِ شِعري

داوِ شعري اليومَ، ها شِعري كئيبُ،
غُصُنٌ شُرِّدَ عنـــه العندلـــيبُ.

في هموـــي كان أن تُغــــرَى به،
عُدْ يَعُـدْ للأَرَجِ الذاكـي هُبــوبُ.

---

* صبيحة بكينا انطون قازان.

لم تكـنْ ريـحَ الشَّمــال اقتَلــعتْ،
لا الدُّجى يلتـفُّ، لا الهـمَّ ينــوبُ،

كنتَ ما لم يُدْرَ بالـحِسِّ وبالعقـلِ:
رُوحَ الـروحِ، تُحيــي وتَــذوبُ!

زُرتَها الأَرضَ ؟... أَشكُّ... اختلْ معي
زُرْتَ بيتَ الشِّعرِ، كالبالِ الحبيبُ...

ما غروبُ الشمسِ يُعطــي فكــرةً
عنكَ، بل نكهـــــةُ أَنْ ثَمَّ غروبُ

في المَــلاكِ اتَّفقــوا أَنْ مفــــرَدٌ
شخصُه، لا مثلُهُ في الخمرِ كوبُ.

أَتُــرى من سِربـــه أَنتَ؟ أَجِبْ.
أَوْجَعُ الأَجراحِ أَنْ لستَ تُجيبُ!

كلُّ شيءٍ هو في الكـــــون، سوى
اللهِ، مَن ناجت ولـم تَدْرِ القلـوبُ !

هو في المابعـــــد، في أُغنيَّـــــةٍ
ربَّمـــا تسكُنهـــا أَنتَ تَطـــيبُ.

أنـــا إن تجمَـــحْ بعـــودي نغمـــةٌ
كنتَ انتَ الأَمرَ بالعـــودِ تُهـــيبُ.

نِصفُ شِعـــري كان كي تقـــرأه،
لا تُباعـدْ أَو هو القَفـــرُ الجـــديبُ.

أَمسِ، مُذْ دُكَّت قرىً من أَرضنـــا،
زُرتَ بالـي موجَعاً فيـــه اللهـــيبُ،

فاستبـــــــدَّت بي ثوانٍ كُنَّ لي
دقَّ بابٍ، قُلتَنـي الخاطي يتـــوبُ !

ذاكــرٌ ليلـــةَ نادينـــــا علــــى
رؤيتـي للكـونِ والقـولُ صَخـوبُ ؟

رُحتَ تعلينـــــيَ، حتــــى لَأنا
خمرةٌ ضجَّتْ بها الكأْسُ السَّكـوبُ،

وُجُهـاتُ الحــقِّ تهـوى لفتتــــي،
قُلتَ وجـــهُ الله تهـــواه الـــدروبُ!

ذاكـــرٌ قـولَـــكَ بــــي منتصـــراً
لجُنـوبٍ أَنَّـــه ثوبـــي الــقشيبُ؟

أَلــــبَسُ العِـــزَّ إذا أَلــــبَسُه
« آتِنا » منّـي كمـا منهـا الشحـوبُ،

كان هَمّــــــــي نبشَ ما في أَرضه
مِن ذُرىً راحت عنِ الله تنـــوبُ،

نقـرت صيــدونُ من بعــدي أنـــا
وتـــراً قيثــارُه الكــونُ المَهــيبُ،

وتغــــاوت صـــــورُ، لا مملكـــــةٌ
بعدُ أو قبـــلُ تُدانيـهـا تَلـــوبُ،

لا على السيفِ انبنتْ، لكنْ على
قولةٍ أنْ ليس في صورَ كَذوبُ،

كلِمَـةٌ تُعطَى تَفـي، صِرنـا بهـا
شُركاءَ الأرضِ نَجْبي ونجوبُ!

وإذا مريــمُ قانــا ارتـــعشت
أنْ أجِبْ، لا في غدٍ، يا مستجيبُ،

وألــحَّت نبــرةٌ في صـوتـهـا
بعضُها لُبنانُ أو شيءٌ قريبُ...

قال: يا ساعــــةُ، فِرّي من غدٍ
هكـذا يُطَّـلَبُ الوجـهُ العَــذوبُ[1]

يومَهـا، فوق ربىً من عندنــــا،
ظَهَـــر الله ومـــا عادَ يغـــيبُ !

الجُنوبُ ؟... اشمَخْ به رأساً رضىً،
كان لبنـانُ إذا كانَ الجُنـــوبُ.

كلُّ هذا قلتَـــــه فِيَّ أنـــا ؟
كلُّ هذا أنتَ إنْ حُقَّ النصيبُ.

ضِعتُ في نُبْـلك من تيـهٍ كمـا
في الـذي قبَّلَـهُ ضاعَ الصَّليبُ !

---

١) الذي ليس بينه وبين السماء ستر.

إِيْ وذكـراكَ، الكـلامُ اليـومَ: ما
تَبْغِـهِ يُبْـغَ وكالسيـــفِ يطـيبُ.

شئتَني أبقى الضميرَ، اشدُدْ يدي
أو أُدمَّـى وتَهاداني الخُـطــوبُ.

عِشتَ فُرقانَ الهدى، في حيثُما
كنتَ كانَ الحقُّ، ما اليومُ العصيبُ؟...

أَلصعوبــاتُ العُلــى أَنتَ لهــا،
تضرِبُ الضربةَ وُثقى لا تَخيـبُ،

بالشَّبا تهجـمُ ؟ بالصرخـــةِ ؟ لا
إنمـــا باللــيـــنِ مرمـــاهُ غريبُ.

مرَّةً تبسِمُ، تُغـــري المعتدي ،
وتهـزُّ الـرأسَ، أُخـرى، فتُــريبُ.

لائـــذاً بالـــحب تدري أنـــــه
وحدَه القوَّةُ إن صابَ المُصيبُ.

يا شقيقَ الدِّيَمِ انهالَت علـــى
جبلٍ، فهو بما تهوى خصيبُ،

خارجَ المُمكنِ خُلْقـــاً ورضىً،
كنتَ، حتَّى لَيُمَنَّاكَ الوجـــوبُ.

لا من الأَرضِ ولا من نَبْتِهـــا
أنتَ. أَنتَ المعتَلى وهي الرُّسوبُ.

مرَّةً عرَّجتَ. قالـــوا: رابَهـــا
أنْ رأت مَن هو للبال ربيبُ،

أَعِدِ الكَرَّةَ، زُرْها اليـومَ، زُرْ.
نُسْكِرِ الشِّعرَ أَنا والعندلـيبُ.

عملاقُ مِصْر

شِعْرٌ ولا أَنتَ؟... في بُرْدي انضنى أَلَمُ
عملاقَ مصرَ، تطلَّعْ، وانحنى هرمُ.

راثٍ أَنا اليومَ؟... دَعْني من رِثاً وبُكاً،
نارٌ ببالي وفاءٌ كنتُ أَعتزمُ

* يوم احتفلت مصر بعزيز اباظه.

قالوكَ تُكمل خطًّا؟... ويجهم خطِلوا،
في غفلة الوحي، أَنت الطُّورُ والكَلِمُ.

أَلشِّعرُ بعدك صار الشِّعرَ، ردَّده
مَن رأْسُه فوقُ، مَن لم يُغْرِه غُنُمُ.

إثنان أَهواهما: نُبلٌ بشِعرِكَ لم
يَتْعبْ، ولبنانُ منه تتعبُ الأُممُ.

سُكري بشوقي أَو آني غيرُ ذي شيمٍ
وقولُ شوقي بزحلَ(١) السُّكْرُ والشيمُ،

---

١) اشارة الى قول شوقي:
إنْ تُكْرِمي، يا زحلَ، شعري إنني
أنكرتُ كلَّ قصيدةٍ إلاّكِ،
أنتِ الخيالُ بديعُه وغريبُه
الله صاغكِ والزمانُ رواك !

هُنا الهوى شَدَّ بين الأُمَّتين، هنا
في الشرق، ما نَسَمَت قبل الهوى نَسَمُ،

لكنَّ شِعرَكَ أَنتَ، الشِّعرُ يعبُدُه
معي، ونَغوى أَنا والليلُ والنُّجُمُ...

ما أَمَّروكَ ؟... إِخالُ التاجَ ضلَّلهم
وجاء جبهتَك الشمَّاءَ يستلمُ.

*

حُمِّلتُ غصناً من الأَرز، استظلَّ به
أَو رعمسيسُ أَو الوفَّادُ من عَظُموا

أَو مَن نماهم ثرى لُبنانَ، مبتَدِعُ
البُدّاعِ: مَن نثروا الدنيا ومن نظَموا،

به أَلفُ جبيناً لا الشموخُ حكى
أَغلى، ولا العودُ وفَّاهُ ولا النَّغمُ.

طوَّقتَ جيدي بأني «عَقلُ أُمتنا
يعُلُّ مِن سِحريَ» الأثباتُ والهُيُمُ ؟

كلامُكَ السيفُ، ها بالسيفِ تُرسِلُه،
والاصطكاكُ سَكوتٌ عنده القلمُ !

بديعُ رَصْفك، فيه أنت: قامتُكَ
الغيناءُ، صدرُك، صدقُ العزمة، الشَّممُ،

وفيه من أُسرةٍ قُلتَ الرماحُ نَمَتْ
قوماً، وقلتَ بِخَيْلٍ طارتِ الهِممُ !

مصرٌ تنشِّئُ ما القوقازُ أنبته
منها الحضارةُ، منه النَّبلةُ الحَكَمُ.

ما الشطرُ من بيتك الملآنِ غير صدىً
لكَرَّةٍ عبْرَها الأعداءُ تنهزمُ،

حتـى إذا ردَّ شطـرٌ آخـرٌ لمَعت
أُهزوجـةُ النصـر يَغـوى فوقهـا العَلَـمُ!

أمَّـا القصيـدةُ، مما رُحْتَ تَغْمُرُه،
فـالبرجُ مـاد كمـن بالأُفـقِ يصطـدمُ،

يقـول إنَّ ابتهـالاً سِرُّ فتنتـه
وإنَّ دقًا على بابِ السمـا الحُكُـمُ !

*

غنَّيتَ لُبنى، ألُبنـى غيـرُ مَن هجـرتْ
لتسكـنَ الدمع في عينيك يَنسجـمُ ؟

لَنجمةُ الصبحِ ودَّت لو تكـونُ لهـا
بديلـةً، وعليهـا الشِّعـر ينهـدمُ.

واريتَهـا لا بتُرْبٍ، بل بوردِ ضُحـىً،
والـحبُّ حبُّك وردٌ بالشذا بَرِمُ...

وفجَّر الدمعُ فيك النبعَ. مصرُ، ردي
نِيلاً من الشِّعر، يا نيلاً هو الكَرَمُ.

بمصرَ حُبِّبتِ الدنيا، فكيف إذا
راحتْ على الريشةِ الخضراءِ تضطرم ؟

أقولُ: كُتْبٌ الى نجمٍ تُشَدُّ فطِرْ،
حُدوثُ، والعبْ كما لم يلعبِ القِدَمُ.

*

عِملاقَ مصرَ، قوافيكَ الكِبارُ بنا،
بنبلهـــا ما يزالُ الأرزُ يتَّسمُ.

ومَن أنا لأَردَّ اليومَ بَعضَ ندىً ؟
صُمٌّ قوافيَّ في رَدِّ الندى بُكُمُ.

إنْ شاعرٌ هامَ بالنيل انتشتْ قِممٌ،
في أَرضنا، أو تصبَّى مادتِ القِممُ.

مِصرٌ هي المَجدُ، كانَ المجدُ مُذْ طَفَرَتْ
في البالِ، فالكونُ أُذْنٌ بعدَها وفَمُ.

أُولو النُّهى الصِّيدُ[1] نادَتْهم هياكلُها،
وعِلمُها رَفَدَ الصِّيدَ الأُولى عَلِموا.

غاوٍ بها شرفُ الانسانِ، ما خَذَلت
عصراً، وغاوٍ بها ذو الريشةِ العَرِمُ،

إنْ ضامها الضَّيمُ مَسَّ الخالقين دُنىً،
أو نالها الظُّلمُ راح الحقُّ يَظَّلِمُ.

لبنانُ نحن! وها نحن الشهودُ لها،
نَدينُ، يومَ آنتصافٍ، ليس نَتَّهِمُ.

---

١) الفلاسفة الاغارقة.

الحبُّ نحن شرَعنا[1] ، الحُسنُ نحن بدَعنا،
البُغضُ نحن قطعنا أنَّه العدمُ،

جبيلُ قالت بقاءَ النفس واكتشفتْ
ربَّا أَبى لقضاءِ السيف يُحتكمُ،

الليلُ لولا سُراها غربةٌ قتلتْ
والشمسُ لولا هواها وَهْمُ مَن وَهِمُوا .

بَلى، جراحاتُ مصرٍ في مضاجعنا،
في الروح يُسخى بها، في العَظم يَنثلم،

في الريحِ ، في غَضَبات الغيظ، في غَدِنا،
في مبتغى ما ابتغى الأَبطالُ إنْ هجموا،

---

١) اشارة الى قول الاله إيل: « الحربُ ليست من مشيئتي، ضَعوا الأرض الصلحَ، ابذروا في التراب المحبةَ، وصبُّوا السلامَ في الأرض ».

ما لم نَزِنْ مِصرَ وزنَ الحقِّ يبقَ دمٌ
علـى الضميـرِ ويبقـى أَن يُراقَ دمُ !

❊

أُطلـلتُ منكَ علـى التاريـخِ رنَّحنـي،
همى كما الضوءُ في بالي، كما الدِّيَمُ...

ويَعطَرُ البـالُ إنْ يَمْسَسْكَ، عِطْرَ يَدٍ
مسَّت بنفسجـــةً أَنفاسُهـــا حُزُمُ.

لِمْ لا؟... وفي القَصص العالي الذي نَسجَتْ
غزَّارتـاكَ استجـدَّت سِحرَهـا النُّظـُـمُ.

غدا الهـوى بِدعـةً، مرًّا ببـــال هوىً
وسُكْرَ عقـلٍ علـىّ القرطـاس يرتسمُ،

وآيـــةً طَرَفَتْ حتَّـــى ليرشُقُهـــا
غيَّـان أنْ أَنـا ضِلِّيـلٌ ولـــي جُرُمُ...

بالكأسِ أفديكَ، بالدنيا، بساجعةٍ،
بلوزِ نيسانَ للزَّيْنات يَبتسمُ،

بالشِّعرِ، بالمنتهى، بالمجدِ أشعلَني،
بحظِّ عيني بعينِ الحقّ أُتهمُ!

حتى إذا لاحَ لي أني وَهَمْتُ؟ هَمَتْ
منّي الشجونُ كَمِن أفلاكِها السُّدُمُ!

رفيقَ شطرةِ عمرٍ، ذاكرٌ ولَهاً
بِشِعرِ مَطرانَ والألبابُ تحتدمُ؟

أَسمعتُكَ المُرتجى. ما كان؟... دَعْ خُلُقي
لِلصمت، لا شَرَفٌ إلّاكَ، لا ذِمَمُ!

ما زلتُ منها كما بَوحُ النسيم لمن
من النُّسيمات تُشقي وهْيَ لا عَلَمُ:

ـــ مُرّي بدارتنا، يا طِفلَ، وانحَطِمي
على بساطٍ من النِّسرينِ يَنحطمُ...

بِهُدبكِ الريحُ تنأى، أنتِ مرتحِلٌ !
بقدِّكِ الشوكُ يَدْمى، أنتِ منتقمُ !!

إنْ كان بالهَزْجِ من صُبْحيكِ لا أمَلٌ
فعِند خصرِكِ لِمْ لا يصدُقُ الحُلُمُ ؟

حتّى إذا يندري شَعْرٌ وكنتِ غِوىً
تَملْمليـن، وآهَ القولُ والقَسَمُ،

تَهُمُّ شمسٌ بأن تَغْشى فأمنعُها:
ضِيعي معي، يا ضَياعي، وآحْلُ يا ندمُ...

وتسألين: لِمن سُهْدي، بمن وجَعي ؟
يا قاطفَ الشمسِ، أكمِلْ أو أنا الرِّمَمُ !

ونَنتهي في قُبْلةٍ ولِهَتْ
وفوقُ يغمزُ فينا بُلبلٌ رُنُمُ...

شيءٌ عن الشِّعر هذا، آستلَّه كَلِفٌ
بالشِّعر، أم سُكْرُ صبٍّ ليس يحتشمُ؟

فلْنبقِه بيننا سرَّ الكؤوسِ، بها
يَمرُّ هاوٍ فيدري أنَّه الجَمَمُ.

*

عملاقَ مصرَ، إذا أُعوِزْتَ في خُلُدٍ
فضُمَّ من خُلْدِنا ما شاءَتِ الضُّمَمُ،

مِن زهر لُبنانَ خُذْ عرشاً ومن قيمٍ،
لا زهرُ لبنانَ منّانٌ ولا القِيَمُ.

فَلْيَرْوِ الزمانُ

على اسمكَ، بين الحَوْرِ أغوى وأهذُرُ،
أنا النهرُ، شوقي، أيُّنا اليومَ أشعَرُ ؟

هنا، الذكرياتُ، المجدُ، ما بعدُ من صِباً،
هنا أنتَ، فليروِ الزمانُ ويسكرُ !

* يوم احتفاء زحله بتمثال احمد شوقي.

طرقتَ، لِمامَ الطيف، ذاتَ عشيةٍ
وكوكبَ من حَوْليكَ جِنٌّ وسُمَّرُ...

هُمُ أسمعوكَ القولَ، زُلزلتَ من شجىً،
هُمُ سكبوا، جُنَّتْ بكأسكَ أخمُرُ،

وحتى اذا غنَّى (شفيقٌ) ورُنِّحتْ
بلابلُ واعلولتْ، لِما قال، أنسُرُ،

وعرَّجَ صوبَ الكون (راجي) يزيدُه
صِباً، وتغاوتْ حِكْمةٌ تتأزَّرَ،

ولاعب بعضاً من خواطرَ أو منىً
بيانٌ لذاك (الشبلِ) بالضوءِ يقطُرُ،

وكانت نسيماتٌ لزحلَ عليلةٌ
تجي وتهِي والليلُ تعبانُ مقمرُ،

يسائلُ: هذا الكونُ أكبـــرُ أم همُ،
نماهم وغنَّى أم نمَـــوْه وخبَّـــروا ؟

هممتَ بنُطقٍ... انما هِبتَ موقفاً
فقلتَ: لكم يومٌ معي طاب يُذكرُ.

*

على سنتين الأرضُ دارتْ... تطلّعي،
قصيدةَ شوقي، جاءَكِ السهلُ يُزهِرُ...

تقولين ماذا ؟ أننا السيفُ والنُهـــى
لَهونا بأكـــوازِ النجـــومِ نبعثـــرُ ؟

وأنْ جارةٌ طابتْ على الحبِّ فالتوت،
لهـــا فوق زَنْـــدٍ غَنجـــةٌ وتكبُّـــرُ ؟

قصيـــدةُ، فُضّي السرَّ: خصرُ حبيبـــةٍ
هنـــا أم كلامٌ أبجـــديٌّ مخـــدِّرُ ؟

أَنا بعدما اعذوذبتُ أُعبُدُ شِعْرَهُ،
وقعتِ على زَندي وشَعرُكِ أَشقرُ...

هو افتَنَّ قصداً، قال شَعْرُكِ مِن دجىً
يُستِّرُ... والعُشَّاقُ دوماً تستِّرُ...

وقد لا تكونين استجبتِ. رددتِه
كسيراً... فان يعزِفْ فعودٌ مجبَّرُ...

تعالَيْ نُحِبُّ الحبَّ، جارةُ، لا انتهى
اليه زمانٌ، لا براه تحسُّرُ،

كما اسمانِ في بعضِ الحكايات علقا
مَخِيلَةَ قُرَّاءٍ فجُنُّوا ودُمِّروا...

سِوانا بعصرِ الكرم يسكرُ. نحن لا.
بنا سُكْرُهُ الكرمُ، اقطِفيكِ سأَعصِرُ...

أنـــا لي أفانيـــــنٌ جديـــــداتُ لذةٍ
عليهـــنَّ كرُّ الثانيـــاتِ مسمَّـــــرُ،

اذا همَّ آنٌ بالنفـــــاد ثنيتُـــــه،
تُرى الآن يُدرى لو أنا لست أَنظُرُ؟

تمرُّ يدي من خلفِ خصرِكِ... لا جنت...
كفى أنْ ستُستهوى... كفى أنْ ستُهدَرُ...

لذائذُنـــا بالشوكِ أغـــرى تفتُّحـــاً
وأوجـعُ من شمِّ العَـــرارِ وأعطـــرُ،

وطـرفُكِ يَحْلَولي لي فيخلـــقُ جنـــةً،
ويقطِفُهـا طرفـي فهـــا هيَ أكثـــرُ...

نميدُ؟... دعينا... بل تميدُ بنا الرُّبى
لنحـنُ غِواهـنَّ الرُّبـى والتبختُـــرُ!...

تقوليـن لي: «أهـواكَ !» تفتـرُّ زهـرةٌ
ببالِ الصدى تحكي... وتبكي... وتسهَر...

وإنْ تسكُتي أَحـيَ التقـاءَةَ لفتـةٍ
بلفتةِ تلك العيـنِ تدعـو... فأُبحِـرُ...

الى أَينَ ؟... من يدري ؟... لَسِرُّكِ بعضُهُ
الدُّمـوعُ... وسِرّي أَننـي لا أُخيَّـرُ !

وأَلمـعتُ أَنْ لو يلتقـي بفـمٍ فمٌ
فأَلمعتِ أَن لو لا يكـونُ المقـدَّرُ.

وحاولتُ أَن أشفى. سوى أَنَّ عاصفاً
بصدري رماني حيثُ سحْرُكِ يسحَرُ.

وشدَّكِ صوبي من ذراعـي تولُّـهٌ،
وأَنك طوقُ المستحيـلِ وأَكسِرُ !

*

بعيدٌ قريبٌ... عهدُ زحلةَ بالـــذي
رماها ببالِ الناسِ حسناءَ تطفرُ...

وآنا هي الشّعرُ الوحيدُ، أما انتهى
الى قولةٍ فيها تعيشُ وتخطُرُ ؟

عروسيَ، حبّي ما بدعتُ. لمنكِرٌ
أنا كلَّ شِعري، غيرَ ما عنكِ أسطُرُ !

بقلبيَ، شوقي، أنتَ ! بالنهر، بالندى
بكل شذا وردٍ كما الخُلْقُ يُنشَرُ !

تفينا الوفا هذا لأنَّا على الهوى
هززناكَ، يوماً ؟ ما الهوى ؟ النُّبلُ أكبرُ ؟

لَمِنْ أجلها ها أنتَ، ما الصبحُ، ما المسا؟
على ضِفَّةِ النَّهْر، الأَميرُ المؤمَّرُ

ولكـنَّ منّـا من بكـى. هل سمعتَــهُ
يسائـلُ، والتسآلُ كالبــوحِ يؤثَــرُ:

ــ حديداً رَجَعتَ اليوم ؟! ويحَ مسافرٍ
كمـا مرمـرٌ هَنَّــا، وهَنَّــا تمرمُــرُ،

وما همَّ... كنتَ الشعرَ، يُكتبُ فرحةً
فيقـرأُ آهــاً، طابَ يَشدو ويَــزأرُ...

يخالـونك الوَقّـافَ: أُحـداثُ عصرهـم
لوتك، كما الأَطلالُ والرَّكبُ يهجُـرُ،

يضِلُّـون ! لا إلَّا الجمــالُ عبدتَــه،
كبـعضِ الدُّمـى أَحداثُهـم بك تعبُـرُ.

همومُهمُ الناسُ: الغنى، السكرةُ، العُلى،
وهمُّك رشقُ الآنِ بالحُسْنِ يَبْهَرُ...

تَوافهُ ؟ ما كانوا، ظروفاً تجذْتَها،
كشمسٍ تدوسُ الليلَ تقهَرُ تقهَرُ ...

همُ مفرداتُ المُعْجَمِ السُّودُ سلَّها
لِيرصُفَها كالنارِ غاوٍ مغيِّرُ،

فتسمعُ دنيا ما يقولُ وما يرى،
وتقلقُ بنتُ الغيب نهداً وتظهرُ !

وما الشعرُ ؟ بعضُ الغيبِ غنَّى كطائرٍ
وبعضُ نُهىً إن رَدَّ رَدَّ يُحيِّرُ.

ويا رُبَّ حرفٍ أَشعلَ الشطرَ كلَّه،
وشعبٍ خرابٍ سوف تبنيهِ أَشطُرُ !

أختُ الكتاب

تمنَّعتِ في قلب الشِمالِ كما الحِصنُ
لكِ السَهْمُ يا اختَ الكتاب، لكِ الرَنُّ

عليكِ تُخَطّ الشمسُ صعباً جمالُها
وآنا تُخَطّ الريح عاصفُها لَدن

فَيسمعُك الحكّام، يَخفُت صوتُهم،
كأن قُلِّموا ظِفرا، كأن مَسَّهم وهن

---

* في يوم « صدى الشمال » الذي احتفلت به الأمة في طرابلس.

ويُشرِق بعضُ النور من صوب اهدنٍ
لأن اسوذا أُشعِرت أن طما ٱلغبن

ويا نُقطةً م الأرض شُدّت الى العُلى
رجــالُكِ الّا بالرجولــة لم يَنــوا

صحيفتُنا أم سيفنا ؟ أيّ فارق ؟...
هنا شَمَختْ رأسٌ، هنا شمخ الفن

شُغِفْتُ أنــا بالعنفــوان، خبرتُــه
صنوفاً، وآخاني كما الغيمةَ المُزن

ولـكنّنــي للعنفــوان بمرقَــم
تمايلتُ قلتِ الطير مال به الغصن

أسائلني: بالورد، بالشعر، بالسنى،
أنا جئت، أم بالليل أطرحُه يرنو

الى قلمٍ لبنانُ أحلام باله
وأرزتُه ما مُكتساهُ وما الرَدنُ

أنا قلمي ــ أفديه ! ــ طفل ازاءه
له الزأْر إن نغضب معاً، ولِيَ الأنُّ

يصول يجول، النارُ بعض صريره،
به الأنسُ من غاب الشِمال أو الجن،

وعلَّم أذني كيف تُنقر نبلةٌ
كعود، وعيني كيفَ يبتسم الطعن

لرَائعةٌ شكَّاته يوم هجمة
وصافية آراؤه والملا جُنُّوا

يقول: هنا هادن، هناك أضربِ الخنى،
هنالك خلّ المستبدَّ له عَنّ

وكـابِـرْ على جـرح وقل: لمَ أُصَب أنا
ودع قيحةَ الحُكّامِ يُسكرهـا الأحـن[1]

وأجملُهـا الهمَّـــات أن غـريمـهـــا
يميع على الجُلَّى كمن هذّه الجبن

وما الحق لم تطرب له، لم تهم به،
هو الراهنُ الغـلّاب والآخر الظـنّ...

ومـا ضرّ أن رَدّوا علـيك بمثلهـا
وحطَّم منك الضَغثُ[2] ما حطَّم الضغنُ![3]...

ستكبُــر ان تُهــزم لأنك في غد
سترجـع رُجعى السيـف طيِّبةُ السنّ

بلى هكـذا رحنـا معاً نبتني العلى
سخـاءً بلهـو، وحـذَه اللهـوُ لا مَنُّ

١) إضمار العداوة
٢) الخلط
٣) الحقد

مُنانا رضى لبنان، وجْهُ خلوده،
نضيع به كالشمس ضاع بها الدَجن[1]

وما همّ أن مُتنا ولم نبلغِ المنى
كفى أن مشينا لا التواءَ ولا هَذْن

غداً، في خُطانا، يجبَه الصعبَ نفسَه
بنونٌ همُ الاسياف مِقبضُها نحن

اليكِ، أيا أخت الكتاب، مكارمٌ
تَحُجّ، تقول: الكأسُ هَمّيَ لا الدَّنُّ

هل الخمر بالحجم ؟... اكشِفي عنك: آتنا
كما صورُ، قلّ الجِسم واكثوثر الذهن

بأسطرك اللا بالألوف حميتِه
الشِمال، جِبالاً مِن جنىً حُوَّل الحَزْن

---

١) الليل

فلا مجدَ مِن أرث الجدود اغتفلتِهِ
ولَا غدَ عزٍّ هِبتِه وهوَ مُكتنٌ[1]

جميعاً جمالُ الروح أنتِ له صدىً
جميعاً بهاءُ الله أنتَ ِله سَدُن

بنفسجةَ الأقلام، يومُك، أُمَّةٌ
بهِ افتُتنت والعمر أَجْمَلُهُ فَتنْ

لَيُطرِب بالي حملُ قِيثارتي هنا
ولا طرَبَ الأوتار طار بها اللحن

وشِعري الذي غنَاك طيَّبتِ بثَّه
كما دقَّةُ المِهباج طيَّبها البُنّ

---

١) مُخبَأ

رصّعت بالي

رصّعتَ بالـي وعُمـري ازهــرٌ نضُرُ
كمـا يُرصّع ليــلَ العــاشق القمــرُ

ودارت الأرض، لُقيـانـا علـى وَرق
لقيـا التي جُنّ من سَمْعٍ بها الوتر

لا مسها... لا رآها... صُوّرت املاً
في موضعٍ ما... واحلاه الهوى صُوَر

---

* في يوم شفيق معلوف الذي دعت اليه مدينة الشِعر.

ابقى من الحب وُدٌ اين عارفُه ؟
هل يعرف العطرَ الا زهرُه العَطر ؟

إن شاعرانِ، كما نحن، استطابهما
عصرٌ وناجتْهما في القبة الدرر

وفتّحا الورد من روض ومن رِيَش
وفتّا المِسك حتى لهْوَ منهمر

ورقّصاالجنَ والاحلامَ وانتهرا
بَوّابةَ الليل أَنْ فلْتُهتكِ السُتُر

وكان قلباهما ما الصدق ؟ ما شممٌ ؟
ما الشمس تقطفها كَفٌ وتعتصر ؟

يبقى على الدهر ما خطّا... وما نَسِيا...
وما به آه مما أُسمِعَ الحجر...

أَجِب، أُخَيَّ، الصداقاتُ التي ربطَت
ما بيننا امس، حقاً شابها قِصَر؟

حقاً ستَنقل كُتْبُ اننا خبر
كالغيب يُسأل دوماً فيه: ما الخبر؟

ومرتين، عطيّاتُ الزمان هما،
يشاؤنا نَلتقي لا يَبخل العمُر

على ربى كرمة او ضِفّتي نهَرٍ
له الهدير الذي ما زال يُبتكَر

اقول: خَلّكَ في لبنان، مرتعُها
تلكَ الطفولةُ نادى والمُنى كُثُر

يُحِبّنا النهرُ، يَروي ان منبتَنا
في حيثما نبتَ الشجعان والشجر

وأنَّ زحْلَ سمــاءٌ بعضُ انجمهــا
الشعرُ، الندى، الزنبقاتُ، النخوة، الكِبَر

لها الفتوحات حيث الوُلْدُ قد ملكوا
لكنما العــرش حيث الأمّ تنتَظــر

تحتجُّ انت بفِلذات لهــم وطــن
هناك، يا جُرْحَ بيتٍ اهله انشطروا

الا انفُضِ اليوم عنك القبرَ مدّرعاً
مهابــةَ الصقــر عينــاهُ هوىً شَزر

مجلجــلاً: أنــا كلٌّ لا أشرذمُنــي
على الدخيل انتصرْتُ ؟ الكلُّ منتصَر

وواحدٌ مجدُ لبنان الذي أخذَتْ
عنه الحضارةُ ما لولاه ولا حضَر

جبيلُ بيروتُ صيدونٌ طرابلسٌ
إطارها البَدْءُ او لا كانت الأُطُرُ

ان مُسَّ ذِكرٌ لِقانا او لِصورَ سنىً
مُسَّ الكمال، رؤى التاريخ والعِبر

او خُمّشت لَمعةٌ مِن بَعلبكَ اسىً
توجَّعتْ مُهجَاتُ الحُسن تنفطر

أقسِّمُ البيتَ ؟! ماذا ! الأنتصارُ سُدىً !؟
ماذا ! دماء رفاقي في الفلا هدَر !؟

لِبعض لبنانَ قاتلْتُ ؟! اشهَدي، شيَمي،
كما السواحلُ هاتيك الربى الخضُر

شمالُهُن، الجنوب، القلب تلك سما
بالي، لَتبقى ويبقى الرمْل والنَهَر

ووحدَهُمْ اهلّها اغلى على كبدي
منها، كعينيَّ اغلى منهما البصر

جميعُنا لفحَتْنا الحرب: ذاك بما
قاسى، وهذا بقصْدِ الموت يبتدر

ولن افرّقَ، ناسي الناس لا بعُدوا
كذا الينابيعُ، مائي الماءُ لا الكَدر

ولستُ اخسر نصراً هزّ اعمدةً،
لبنانُ منشطرٌ؟ لبنانُ مندحر!

تراجعٌ نحن؟ سُكنى في الخباء؟ أشِحْ
جمالهُ السيف ان السيف ينشهر

بلى جراحُكَ مِن بَحر تَوزّعنا
هَنّا وهَنّا صغارٌ عندها الحُفَر!

اسكنْتَها بعضَ قصدان كما غُصصٌ
للناي اوجعُ منها الناسُ ان غَدروا

إفتِنْ بشعركَ لكن قلْ تحطّمَه
ممن غوَوا وبذِمات العلى كفروا

لوَحدَه في العداوات الدخيلُ، جرى
بباله غَصْبُ ارض تُرْبُها الطهُر

وان نكن لِربىً خضرٍ شمخْنَ هوىً
شطٍ وقمّاتِ صخرٍ ليس تنكسر

معانادتٍ، لها في الله، والتفتت
دوماً الى الله، قل هل بعدَها خُسُر؟

بلى سنبقى ويبقى فوق صخرته
لبنان قهّارَ مَن ما غيرُهم قُهروا

وقال مِن خطر نمضي الى خطر ؟
ما همّ ؟ نحن خُلقنا بيتُنا الخطَر

يا شاعرَ الحكمةِ اعلولتْ كما شرفْ
هَيمى بما لا حَكى الإغريق لا سَطروا

واين منبتُها ؟ الصحراء ؟ ويكَ ! أجبْ
أأنتَ ربٌ لِيغشى قفْـرَك الزهَـر ؟

تلك الأساطيرُ سُكْرُ البال، واحدةٌ
منها مرورُكَ في الدنيا كما الشَرر

تكون كانت، وشقّت عبقرٌ غدَها،
لو لم تَعَـرَّ لعِمـلاق وتأتـزر ؟

حقائقٌ ام خيالاتٌ ملأتَ بها
كأسَ الوجود فدارتْ والملا سكِروا

قلتَ الجراحَ زهورَ الحبّ، قلتَ ندىً
هَمَّ الندى، قلتَ ما السُهّارُ إن سهروا

غوَوْا عذارى وزَيْناتٍ خواطرَ، ضِعْ
ما بين بين يَجذْكَ الصحبُ يا سمر

الليلُ يشقى بعشاق ؟! ضللتَ منى،
يشقى بها الليل تلك الخرَّدُ الفكر

وقلتَ كيف الهوى الباقي ولو جُرُحاً
اشهى مِن العمر جرّاحا به الضجر !

وقلتَ ما الحربُ الا القوةُ أفتُتِنتْ
بنفسها، وزهورُ الشر لا ثمرُ

وان حرّيةً فوق الجَمال هي
الاحرار، لا الكلماتُ الخُلّبُ الغُرَر

وأن مَن عَمَد العَليا باعمدة
كبعلبكَ أَطاعتهُ العُلى الأُخر

حنتْ عليه السما، أغفتْ على يده،
كما تغافى على اجفانِه النظر

وقُلتَ ما قاله للشمس عابدُها:
اغدو انا انتِ او لا يُبلَغ الوطر

ماذا ! شردْتُ انا ؟ حمّلتُ خمرك ما
اهوى ؟ لها الكأسُ اما طيّبت عُذُر

جُزْ جُزْ معي صوب اخت الحسن، ربّتِه،
في كل بال أناهيدٌ لها اثر

عرفتُهما انا مَنْ، والحسنُ اعرفهُ
براه ربٌ ولكن كمَّلَ البشر

نقلتَهـــــا عن هواك، اللهَ في يدهِ
شاركتَ !ها بِكَ أنتَ الحُسنُ يأتمر !

أعزُفْ وريشتكَ الهُدبانِ ، ضِع وأضِعْ ؟
وعبْرَ هُدبَينِ كم يَعذوذبُ السفر !

يا وردةَ الورد، خُطّي فوق ناسمةٍ
أنْ زرْتِها الارض فاحلولت لها ذِكَرٌ

عينانِ لا الليلُ مرمِيًّا بغيرهما
ليلٌ ولا الضوءُ الا منهما خدِر

ومُعنِقٌ لم يزلْ يعلو كأنْ سحَر
يقول ازميلُه: لا ينتهي السَحَر...

وقامةٌ شكُّها شكُّ الجريد بدتْ
لِقاهرين بَهَوا بالحرب ما انبهروا

بلى، التقاءُ التي صُبّتْ، كما حلُمٌ
في بال شاعرها، قهرٌ ومقتدَر

لأمةٍ صانها عن ذلّة قلمٌ
لا السيفُ اجملُ ان يُسعِفْ ولا القدر

لِمَ انتصرنا ؟ أمتّنا الموت؟ لم نهب
الدنيا تجمّعَ منها النابُ والظُفُر ؟

لأنّنا كان منا شاعرٌ عَبَدَ الحسن،
العلى، المنتهى، العِرضَ الذي يفِر

ندى الغمام، سماحَ الكف، رَدَّكَ لم
تَجبُن — قوافٍ بهِنَّ الله يُختصر!

زهورُ لبنان، وهْي الحربُ، ما وفدتْ،
نكّستُها الأسْيُف، اعبرْ رأسَ مَن عبروا

الى الخلود الى حبّي، الـى مـلأٍ
أعلـى، جِثيٌّ لـه التيجـانُ والسُرر

الى ظلال التي في المنتهى ورّفت،
على اسم سِدْرتنا، تعلو وتنتشر !

آتٍ معي زهرُ لبنانا

ذكراكَ في البال ما ذكراك؟.. قل ضُرِبا
على هوى الرعد سيفٌ أشعل السُحُبا

ولو لِريشة عصرٍ أن تظلّله
لكنتَ كالليل لفَّ المنتهى بإِبا

والليل وحدَك تدري أين مَنبَعُه
وكيف كان وكان الله ما وهبا

---

* في مهرجان «أيام طه حسين» بالقاهرة.

مِن قبل ما الأزلُ ابدوْدَى رمى يدَه
على الذي سوف يغدو الكونَ واجتذبا

كذاك أنت، رمتْ عينــاك ليلَهمـــا
ثِقلاً على الشرق، ردَّ الشرقَ ملتهبا !

لا، لم تَقلها « استفيقوا »، انما بدعت
يداك بدعـاً تصبَّى الجفـن والهُدُبــا

بات الـذي يقـرأ « الايـام » مختليـاً
بالحسن والحسن يُنبي يومَ ليس نبـا

*

بعـد الكتـاب الشجـيِّ استُـنَّ مُنتهَـج
أَنْ يصدق القلم، أزهوهى ام انتحبـا

تعلَّـم الجيـل من طـفـل تـمُـرُّ بـه
أزاهر فـتـرى في وجـهــه العـطَبـا

فتكتمُ الحزن عنه خوف تجرحه
لكنه هو لا يستهذب الكذِبا

يمضي اليها يغنيها يحبّبها
به: «يا أزاهيرُ، انتشي طربا

أنا الطبيعةُ لم تُغدق عليّ فلِمْ
أرُدُّ بالمثل ؟... هاني الكأسَ والحَببا

الا اشربي، يا أزاهير، اشربي: لَيدي
تسخى كما النيل ان واثبتهِ وثبا».

تعلَّم الجيل من طفل تؤدبه
«الأيام» حتى ليغدو وحده الادبا !

❊

مَن واكبوكَ وَمَن ظلُّوا العجاج بِهِمْ
بنيتَ مصرك واستنبتَّها القُببا

كمـا صرعتَ، رفـعتَ: الريـحُ آيتُهـا
أنز الغِـوى هيَ، لا ثوبٌ ولا قَشُبـا

واليومَ في ظل ما أطلـعتَ من فِكَـرٍ
يُنامُ تيهًا على المجد الذي اصطخبا

دعني وخاطرةً تفترُّ قلتَ « نفرتيتي »
تعــود علــى لِعْبــاتِ من لَعِبــا

ذاك الذي حطَّ في الصُلْب الجمال اذ
اعلولـى، وسمَّرهـا الأغنيَّــةَ الذَهبــا

مُخَلِياً لشروق الشمس غصَّ شجاً
وباعثـاً حَسداً في النـاي إن عذُبــا

ومَسحــةٌ لا تنِــي سِراً ومفتَتَنــــا
بأن يُرى أرَبـاً ما لم يكُــن أربــا

وشائلٌ بغِواهــا وهْـــمُ ان لـهـــا
مثلَ الجناحين رفًّا فوق... واغتربا...

وما التقى الحُسْنُ من لبنان ضجَّ صِباً
بفنّ مصر تغـاوى في الحديـد صِبـا

حتى غدت للأولى قيلوا العقول مُنىً،
وللأولـى ارتحـن لاستغبائهـــن غَبــا

لا الحسُن، بل حُلْمُ أنْ الحسنَ طوعُ يدٍ
كأنمـا الله ممـــا نَفهَـــمُ اقـتـربـــا

ذاك الـــذي تَركَ التِمثـــال متعبـــةً
للنـاس قالـوا انتهـى يومَ انتهـى تعبـا

إزميلـــهُ أنت أم لِمْسـاتُ إصبَعِـــه ؟
سَلْ وجْهَ مصر وما أُعطى وما خَلَبا

*

ومصرِ ثِنتـان: ما احييتَ انت وما
أَلهَمْتَ. هذي وتـلك الفكـرُ منتسِبا

اللهُ ؟ أيَّ هُدًى كانت هياكلُهـــا ؟
وَمـن تَعـاجب لو لم تُعْطِـهِ العجبا

نادت بُنـــاةَ اثينـــا ،من غد، ورمت
في قلبهـم شُعلـةً تستوقـف الحِقبـــا

واستعجلتهـم، فبـرّوا امَّهـــم كرَمَـــا
فكـوّا الظـلامَ وقالـوا القولـةَ السببـــا

ومِصرِ مَنْ علَّمت ! لا البَدْعُ تكتُمه
عنهم، ولا خاطراتٌ كالسُيوف شَبا.

كأنهـا أنت، طلـــقٌ بالُهـــا بنـــدىً
كأنهـا أنت، زهـرٌ مرجُهـــا بِرُبـــى

واليومَ مِصرُكَ، مَن اطلقتَ، مصرُ مشت.
فاقرأْك شعبَ هُدىً واقرأك شعب ظُبى !

تلك الكرامات في العقل ارتجتك أخًا
تلك البطولات في الحرب ارتضتك أبا.

في الصوت، في الموت، ها أنت العظيم !الا
افتَحْ مقلتيك عليك، استبعِدِ الريبا

انت الحقيقة ! طِرْ بالخاملين، أفِضْ
فيهم عتُوّك، ضيءٌ كالنور منسكبا،

سَيرَ الزمان الا سرٌ، هنا كسِلٌ
شروقُها الشمس في الشرق الذي اكتأبا.

*

آتٍ معي زهرُ لبنان وكنتَ صدىً
لثورة في بنيه تَنزِل العَصَبا

ليست من النـار لكـن مِن ارادتهـــا
تُعطي الهنيهاتِ نبْضاً، تشربُ الغضبا.

إنـزِل بقلبـي، بِهَـمِّ الأرز يومَ اسىً،
بالشيـح بالريـح، بالهبّـات غِبَّ ضَبـا

إنزِل بمـا ضَجَّ في لبنـان من ولـهٍ،
بالكِبْر لـم ينجرح، بالـورد ما انتُهبـا

بماردِيـنَ أبَـــوا الا الحيـــاةَ عُلـــىً،
بمُمْسكيـن بقـــرن الدهـــر مُطَّلَبـــا،

بِحبّهـم، بضروبِ العـزم في يدهـم،
بقولهم للزمان: اركُضْ أم آنتَ هَبـا

تكنْ نَزَلت ببعضَ الصخر مِن جبـل
له على المجد فضلُ المجد إن صَعُبا

*

هتفتُ باسمِك، ما لقّبتُ، لي عُذُري.
مَنـــذا يُلَقّبهـــا الّا بهـــا الشُهُبـــا؟

طهَ حسيـن ويكفـي! ذاكَ منتهَجـي
أنا كما السيفُ طَلْقًا أنـزِل الكُتُبـا.

وَهَل كُنتَ الحرون؟

هُمُ سألوني : السيفَ قلناهُ : هل تُسعَدْ؟
أجبتُ : أجعلوها اثنين : سيفاً ولا يُغمد

أخي نوفلُ، الأبطال تُبكى. احتَفِلْ بها
دموعي، ويَبكي فَرقَداً في العُلى فرقد

شُغِفْتَ بِشعري؟ قُلتَه شَكَّ رامحٍ؟
لَبيتُ قَصيدي أنت، والكَلِمُ الخُرّد

* في رثاء نوفل الياس

تُصفّقُ لي، ها صَفحتي قُبَّةُ السما
بأنجمها ما جَمّع الله أو بـدّد

تقيّم شعراً؟ حسبُه منك هَتْفَـةٌ،
لها الله! بَدْرُ التَمّ خُطَّ على أسود

وهل كُنتَهُ الحَرْمونُ؟ وجهٌ الى هُنا
ووجهٌ الى هَنَّاك، طَلْقٌ فلا يُربَدْ[1]

وماذا هُنا... هَنّاك؟... قُل كلُّ بُقعة
حللتَ بها عاطيتَها خَمرةَ السُّؤدَد

فديتُك! مِن لبنان أنت زَها بها،
جَمعتَ كما المُعطي، تركْتَ كما المُفرد

لأشمَخُ تِيهاً حين أذكر قولـةً
لك، اختصرت نُبلَ الوفا ومَضت تَشهد :

---

١) لا يُحبس

ــ لأهلٍ أنا أصبحتُ منهم أظلَّني،
« وإنْ يَجحدا أُعتَبْ جريحاً ولا أُجحد

أنا الجبل العالي، كما الله جارُه،
أَجَرّدُ مِن ورد؟... أجرّد لا أجرَد

*

ويـا ناثِـرَ الـدُر، المنابـرُ اوّهت
عليك، وجُرحاً بات مَن كان قد غرّد

وقد أخذت عنك المنابرُ لَفحَهـا،
وطايبها الشِعر الـذي بعـدَكَ استوحـد

شهـدتُكَ مـا بيـن الدُهـاة أميرَهـم
وسابِعَها ــ فَلْتكتَمِلْ ــ عُمُدُ المَعبد

ويُصغَى اليك، الحُجَّةُ البكر تَكتسي،
على فَمِك التيّاة، بالرونق العسجـد

فإن أنت فَنَّدتَ، السيوفُ تقطّعت
وإن أنت أيَّدت، الهُدى كلُّه أيّد

شهدتُك، هل لي أن أردّك زعزعاً ؟
تشيل بقوم أو تُحّطُ ولا تَجهد

هدوءٌ كما الأولمب، رَبٌّ لأمـرِهِ
أقول الروابي انصعن وامتثل الجلمد

*

ويا خُطبةً لا النَشْئُ مَسّ جلالَها
ولا ليلُ مَوتٍ عاثَ فيها أو استنفذ

تَظِلّين صَرحاً للأولى عبدوا النُهى
وربَّ شُموخٍ في جبينِ النُهى يُعبد

*

بلوتُ شجاعـاتٍ أنـا، وعَجَمْتُها
بما لِيَ من كِبْرٍ، ومن هِمَم مُرّد

ورحت بها أَفري العقول، أَحكُّهـا
على العاصف استوحيتُه البحرَ إن أزبد

واضربها في الهـم والغـمّ، انتخـي
كأنْ قدرٌ عزمي، كأنْ قُبي مُيّـد

ولكنْ مِن القبر استمع لي نهرتُها :
له، يا شجاعات، اسجدي، كلّهم سجّد

*

ويا نوفلَ الأبطال، جرّعك الأسـى
أنِ الأرزُ في لبنان أُوقِف لا يصعَد

وأغـمضتَ عينـاً خلّفتهـن سُيَّـاً
جبالاً وشطآنا وبحراً بنا استمجـد

وعـدتُك : لبنـانٌ يعـود، وسيفُـه
على الكل، لا أبهى لِشعب ولا أخلد

جِمى عبقريٌّ، لا الى الغير عينُه
ولا القرش مولاه، وعدتُك لا يُفقد.

فهرست الكتاب

الوثيقة التبادعيّة

« من منتج للاستهلاك
الى فنان حياته »

الطبعـة الاولى ١٩٧٦
الطبعـة الثانيـة ١٩٩١

رؤيا عن الله والكون
نظام سياسي، فن حياة

١

سكّان كوكب الأرض، عشيةَ الالف الثالث بعد المسيح، يمكننا القول انهم اصبحوا واقفين على حقيقتين :

الاولى : أن الانسان قَفز قفزة كبيرةً صوب معرفة ذاته. لم يبق يُرضيه ان نَضمن له عيشه وحسب ولا حتى رفاهَه

وحسب. اصبح يتطلّب لا أقل من أن يبدع أو يشارك في البَدْع، كأنما هو مزاملٌ لله.

الثانية : تعاسةٌ، اكبر تعاسة، ان نَقتلع الانسان من ايمانه بأنه باقٍ الى الابد. وكيف نريده يتصور الارض، الكوكبَ الذي ما كان قد كان، لولا نشاطُه هو الانسان، سوى صخرة بلا قيمة مرميّة في الفضاء، هي تبقى الى مليارات السنين وهو، الذي ثمّرها وبَدَع مدنيّتَها، يَكُفُّ عن وجود بعد ٧٠، ٨٠، ١٥٠ سنة ؟ مع انه ليس في المعقول ان لا يكون الافضل وجد ليبقى أكثر. ان مجرد هذا الشعور، عَصرٌ أخذوا يقدرون الجودة في وجه الكثرة، أعاد الايمان بأبدية الانسان. مع كل موكبها: اللهّ قادر على كل شيء، بادعٌ اذن وله السرمدية، والى جنبه : خليقتُه التي تُكرَّم أو تُذَلّ بقدر ما تروح تقرُب ان تصير مِثلَه أو تَبعُد. وفي اللغة اللبنانية ثلاث مفردات : « سرمدية »، « أزل »، « أبد » ـــ ليس لها في اللغات الأوروبية إلا مفردة واحدة ـــ بمستطاعها أن تسهم في توضيح علاقة الانسان بالله. ان السرمدية، بجزئيها الازل والابد، يَملكها الله وحده. الأزل، اعني الماضي الى ما لا حد، لا يملك الانسان منه ولا ثانية. من هنا وجوب أن يتّضع، الى حد

الانمحاء، امام الله. أمّا الأبد، اعني المستقبل الى ما لاحد، فيملكه الانسان هو والله معاً. من هنا، بالمقابل، وجوبُ ان يشعر بكرامةٍ أجملِ الكرامات .

أن يضارب لا على أقلّ من أن يدع ولا يتنازل عن الايمان بمزاملة الله في انه باقٍ الى الابد، بهاتين الاثنتين يتحدّد اليوم الانسان. ولربما يكون هكذا، في بعض الكواكب، كلُّ عاقلٍ راق سوف يَلتقيه الانسان.

٢

هذا الوعي كان موجوداً في التاريخ، بشكل ومضات نور. وومضات النور هذه هي التي جعلت الانسان، حتى فيما كان يتخبط، يوجد انظمةً سياسية يَحكم نفسه بمُوجبها، ويمضي خطُّ تطورها مع خط وعيه لله والكون.

فلسفة حُكم، أعني رؤيا عن كيف سياسةُ النـاس، موضوعٌ شغل كل الادمغة الكبيرة، على تَنَوّع نشاطها : من تور وفيثاغورس الى لينين وتشرشل، وبينهم المثلث الاغريقي : سقراط وافلاطون وارسطو، واصحابُ النور الكبير : دانتي وشكسبير وغوته وفاليري، والعقلان غيرُ العادِيّين : اوغوسطينوس والاكويني، لكي لا نتكلم على

الذين وقفوا انفسهم على السياسة كمكيافيل وهوبس. كلّ من هؤلاء اتخذ لنفسه مُنطلَقاً بعينه. وإنما يخيّل اليّ ان المنطلق ذا الوزن ينبغي ان يكون السؤال الخالد : « انا، الانسان، باقٍ أم لا، اكثر مما هي باقية ترابٌ وشجرة ونجمة ؟ » سؤال الاسئلة هذا، عن البقاء، يستتبع فكرةَ وجود من هو رب البقاء : الله. ان العباقرة الذين رصفوا مداميك المدنية، على مدى التاريخ، هزّهم اكيداً هذا الموضوع اكثر مما هزّهم ما اذا كانوا سينامون على الطوى أو في بيت سقفُه يدلف.

كيف رأى الانسان هذا الخط الآتي من الله صوب الانسان مكملاً طريقه صوب الانسان ـ الموهبة، هكذا تَفتّق له أن يَعمل حكوماتِه.

تعال نمشي مع هذا الخط .

الله، او الاله الواحد، اول ما رآه الانسان رآه قوة وقادراً على كل شيء. اذن هذا الانسان ينبغي أن يَكون له مَلِك يحكمه لا يستهان بما له من قوة ولا بما له من قدرة على كل شيء، ولو انه لا يتسمى احياناً ملكاً. وهكذا بدأنا كلنا ملكيين. اعني مشدودين الى حكم فردي أو شبه فردي، المهم انه دوماً حازم.

ونمضي مع الخط : وعَى الانسان انه الى جنب الله يوجد الكون، خليقته المتدرجة من حبة تراب الى مجموعة نجوم. بوحي هذه المعرفة رأى، الى جنب الملك : الوطن. وهكذا صرنا وطنيين. وكنا في بعض الاحايين نلحد او نتناسى الله ولا نعود نأبه إلّا للكون، ونعمل حكومات بعيدة عن القيم التي تستوحي القيم الالهية. ونظن اننا اذا هدمنا المَلِك او الحكم الحازم، نكون خدمنا الوطن. لكنا لا نلبث ان نعود ندرك ان الذي تهمه الوطنية لزامٌ عليه أن يستمر تهمّه الملكية، كما أن الاهتمام للكون لزامٌ أن يظل مستلهماً الاهتمام لله.

ويواصل الخطان مُضيَّهما : يصبح الانسان عارفاً بأن الكون ـ الخليقة، افضلُ جزء من اجزائه، ذِروتُهُ، تاجُه، هو الانسان. بالموازاة، يصبح الانسان عارفاً بأن افضل شيء في الوطن هو الأُمة. المتر المربع من ارض الوطن مهم، لكن اهم منه المواطنُ الواقف عليه. ويولد حكم الامة. وهكذا نُصبح أُمْويين أو أنتر أُمْويين. وهنا، في

مرحلة اكتشافنا ان الانسان هو تاج الخليقة، تتعقّد متطلباتُنا وتتعقد الانظمة السياسية التي تطمَح الى ارضائنا، ولكنها تظل في روحها واحداً.

والخطان اللذان سيمضيان سيظل الواحد منهما يؤثر في الآخر ويلهمه. الآن، بات ينبغي لنا أن نبدأ نتبين أنه، بعد الانسان، يوجد الذي ليس أيما انسان، يوجد الانسانُ البادع، ذاك الذي خلقه الله ليؤازر الله في استكمال بدع الكون. وهكذا يكون الخط السياسي ماضياً لا فقط صوب الامة التي تُنبت هنا وهناك افراداً بادعين وانما اكثر: صوبَ الامة المتبادعة. لفظنا كلمة جديدة اشتققناها خاصة لِتعبّر عن مفهوم جديد يقول انه ليس بمستطاع الفرد ان يبدع، بحق وبسهولة، إلّا اذا راح، في كثير أو قليل، يبدع معه سائرُ الناس ويُبدع حلمُهم معهم وأدواتهم التي هي بدورها بِدَع، إلّا اذا راحوا هو وهم يتبادعون. وان يتبادع الفرد معناها ان يبدع نفسه والعملَ الذي يبدعه والاشخاص الذين هم سواه وأحلامهم وأدواتِهم، وهؤلاء جميعاً يعودون بدورهم يزيدونه قُدرةً على التبادع. وهكذا صار ينبغي ان نصبح تبادعيين.

الانسان وهو بدائي يتطلع الى أن « يَقتني ». بعدها يعلو على نفسه فيتطلع الى ان « يكون ». بعدها يعلو اكثر فيتطلع الى ان « يبدع ». اليوم اصبح ينبغي له أن يعلوَ على نفسه اكثر واكثر ويتطلع الى ان « يتبادع »، اعجوبة لا

يقدر على اجتراحها إلا اذا عمل هو والناس وأحلامهم البِدَع وأدواتهم البِدَع معاً.

٣

التبادعية، في الاجتماع والاقتصاد، نظامٌ يفرض سيادة اثنتين : الحرّية والجُودة، ولا بحال يُحَدّ من الحرية، ولا بحال تُفَضّل الكَثرة على الجُودة.

الحرّية التي بلا حد تفرض على نفسها ان تكون مسؤولةً تجاه نفسها. بعد هذا الفَرْض الذي تقوم به اختياراً، (اعني في نطاق الحرّية ايضاً)، تعود لا تقبل بأن يُشرط عليها شرط. هذا معنى أنها بلا حدّ. ان الوجود العظيم، الذي منه يَنبعُ كل شيء، هو حريّة. بنتيجة وعي هذه الحقيقة، التي كانت مبدئية ثم برهن عليها التاريخ، نُدرك ان افضل تفتّح للانسان يَتمّ في الحرية. لكي تتبادع يَستحيل ان يلزمك شيء فوق الحرية. وهكذا يَستحيل ان يوجد نظام اجتماعي واقتصادي افضلُ وادرّ على اصحابه وألَذّ تطبيقاً من نظام حر الى ما لا حد. من هنا ان الوسائل التي ابتكرها الانسان، في مستهل التاريخ، وخدمته لكي يمارس حريته بسهولة لا يجوز له أن يَرفضَها بشيء من

التهوّر او من الخفّة. مَثَلٌ على هذه الوسائل : المال. إن تَصنيمَ بعضنا للمال، ذاك الذي جعل المال احياناً يثمّر نفسه لصالح نفسه، يجعَل الانسان زلْمةً له، هذا لا يجوز ان يجعلنا نستهين بالمال وبأنه أمرن وسيلة لتسجيل حصول الجهد الخيّر أو لنقل الجهد الخَيّر من مكان الى مكان. استبدالُ المال بأيّما شيء سواه ردة الى البدائية. المال كالابجدية : الشَّعب الذي عملهما كليهما عَملهما لا يزاد عليهما شيء. تَقدر ان تخربط في أصول استعمالهما، لا تقدر ان تستغني عنهما. ليس من مال أو ابجدية عند الجماد أو النبات أو الحيوان. والانسان عَمِل المال والابجدية ؟ المالُ والابجدية يبقيان للانسان. واضحٌ مَن المالك ومَن المملوك. تَتغيّر الادوار، يتخربط كل شيء. والحكاية التي يعرفها الصغار لكم يروح غالباً يتناساها الكبار : بدويٌّ من الصحراء عثر على قطعة من معدن، قال : « ويش ريدها » ورماها. وجدها ابنُ مدينة، عمل منها مفتاحاً ثمنُه ليرة. وجدها سويسراني، عمل منها ساعة ثمنها ٢٠٠ ليرة. وجدها عالِم، استخرج منها طاقةً ثمنها ملايين. قطعة المعدن الصغيرة تلك لا قيمة لها بذاتها، تصبح لها قيمة وتأخذ تكبر هذه القيمة بنسبة ما يُضافُ اليها انسان. ونستخلص : المال، المال الذي يَبقى عارفاً

حَدّه، يُعطي التعاملَ حُرّية هائلة. لهذه، المال خالد. ومِثلُهُ الرأسمال وحَقُّ التملّك. ألا فليجتهد الانسان، فرداً أو جماعة، ليجعل دخله بقدر ما يريد، التبادعية، التي لا تقدر ان تكون له إلّا اذا كانت لغيره، تُدفَعُه من هذا المال، لصالح الجماعة، بقدر ما تتطلب اللعبة التبادعية. وهذه اللعبة، بقدْر ما تؤمن خير الجماعة، تكون مؤمِّنة خير الفرد. حرية في التعامل لا حدّ لها، ما مثلها سنَد لتفجير الخير. ومن الخير تتغذّى الموازنة لتكون قوية، أعني لتقدر على تنفيذ المُخطَّط الطموح. والموازنة اثنان : أخذٌ من المكان الواجب أن يؤخذ منه، وعطاءٌ للمكان الواجب أن يعطى. والتبادعية، التي هي حرية مسؤولة، تجعل المنتج تَلَذّه زيادةُ مساهمته سنة بعد سنة في تنمية الموازنة، اعني في تنمية تبادع أُمّته الذي ينبغي ان يوصل الى تبادع أُمم العالَم، أعني البشرية التي هي عائلته الكبيرة.

والجُودة هي التي ينبغي أن تشمل كل شيء : الشخص — انتَ والغير — العملَ، التعاملَ، الأهدافَ وحتى الاحلام. من هنا ان التبادعية جُودةٌ عمومية، للانسان وللشيء معاً. هي اذن رَفْضُ مجتمعِ الانتاج للاستهلاك، رفضُ السُّرعة التي تَلْهَث ولا تُوصل إلّا الى المكان الذي

يان في النهاية أنّه متأخر عن المُنطلَق، رَفْضُ العمل الكَثْرويّ الذي لا يَنْقَعُ غلّة. على النقيض من كل هذه يكون الانتاج الجودوي، ذاك الذي يجودن نفسه ويجودِنك أنت صاحبه. يحوّلك من مُنتج للاستهلاك الى فنّانِ حياتك. فرْق، فرق كبير، بين أن تضيف الى نفسك وان تتجودن. التبادعية ليست حركةَ ازدياد، انها بالاحرى، حركةُ كَسْر طَوق، نَفاذٌ الى درجة في الوجود أعلى. حتى المعرفة، المعرفة العظمى، تصبح، على ضوء التبادعية، جَوادات قلب ايضاً : نخوةً، وعطاء، ومحبة للكلّ، وصِدْقاً، وقدرة على تذَوق الجمال، وشجاعةَ كلمة خلّاقة، ولفتةً تلف الكون وما بعد الكون، ومضاربةً على لُعَبٍ شَبيهةٍ شيئاً بِلُعَبِ الله.

فهرست المجلد